الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد – القاهرة .

العدد ١١٠٢ – الخميس ٢٤ شوال ١٣٨٤ هـ – ٢٥ فبراير ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

طرائق التعبير في العربية الفصحى وفي العامية

للدكتور : على عبد الواحد وافى

تنوعت طرائق التعبير فى العربية الفصحى ، ووصلت فى سموها ، وبلاغتها ، ودقتها فى الابانة عن حقائق الادراك والوجدان ، وقوة تأثيرها فى النفوس ، وحسن تعبيرها عن مختلف فنون القول ـ وصلت فى كل ذلك الى شاو لم تكد تصل الى مثله لغة أخرى من لغات العالم .

وكما وفق علماء النحو فى رجع مسائل الاعراب الى قواعد محكمة مطردة ، قليلة العدد ، منقطعة النظير فى أحكامها واطرادها وقلة عددها ، كما بينا ذلك فى مقال سابق ، وفق كذلك علماء البلاغة ايما توفيق فى حصر طرائق التعبير فى العربية الفصحى ، ورجعها الى قواعد محكمة ، وبيان ما لكل طريقة منها من أثر فى بلاغة القول ، وروعة العبارة ، وايصال الحقائق الى الأذهان .

* * *

١ ـ **فمن هذه الطرائق** ما يرجع الى استخدام المفردات والعبارات فى غير ما وضعت له لتحقيق غرض بلاغى ، وما يرجع الى تشبيه المفردات والعبارات بمفردات وعبارات أخرى لتقوية مدلولها وتوضيحه ، وقد رجع علماء البلاغة هذه الطرائق جميعا الى تسع الطرائق الآتية :

(ا) فقد يستخدم اللفظ فى غيرمدلوله الأصلى لتشبيه أمر بأمر فى صفة ما ، كتشبيه الهدى بالنور والضلال بالظلمات فى قوله تعالى : «يخرجهم من الظلمات الى النور » ، وتشبيه الكريم فى شدة سخائه بالبحر فى قولك « يغمر كرمه المعوزين » .

(ب) وقد يستخدم اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة أخرى غير المشابهة بين المعنيين ، كعلاقة السببية والمجاورة والكلية والجزئية واعتبار ما كان عليه الشىء أو ما سيؤول اليه ، نحو « له على يد » أى نعمة سببها الاعطاء باليد ، و « ينزل لكم من السماء رزقا » أى مطرا يتسبب عنه الرزق ، و « انى أرانى أعصر خمرا » أى عنبا يؤول الى الخمر .

(ح) وقد يغلب استخدام اللفظ فى غير ماوضع له على طريق من الطرق السابقة حتى ينسلخ عن معناه الأصلى أو يكاد ، ولا ينصرف الذهن عند اطلاقه الا الى هذا المعنى الجديد . وذلك : ككلمة « الفصاحة » المستخدمة فى صفاء القول وحسن بيانه ،فان معناها الأصلى صفاء اللبن وذهاب رغوته، وكلمة « الرث » المستخدمة فى الخسيس مما يلبس ويفرش ، فان معناها الاصلى الخسيس من كل شىء، وكلمة « الباس » المستخدمة فى معنى الشدة ، فان معناها الأصلى الحرب ، وكلمتى «الصلاة» و «الزكاة» المستخدمتين فى الشعيرتين الاسلاميتين الخاصتين ، فان معناهما فى الأصل الدعاء والطهارة . .

(د) وتستخدم الجملة كلها أحيانا فى غير مدلولها الأصلى لتشبيه حالة بحالة كان تقول : « رمى عصفورين بحجر واحد » قاصدا التعبير عن تحقيقه غرضين بعمل واحد ، و « هو يقدم رجلا ويؤخر أخرى»قاصدا التعبير عن تردده بين الاقدام والاحجام فى أمر ما .

(هـ) وتطلق العبارة أحيانا ويراد بها ما يترتب على مدلولها ويلزمه ، وذلك كقولك : فى التعبير عن الرقة وشدة التأثر « مس الحرير يدمى بنانه » ، وعن الترف « نؤوم الضحى » ، وعن الكرم « اليمن يتبع ظله » ، وعن الفاقة « يفترش الغبراء ويلتحف السماء » ، وعن الندم « يقلب كفيه » .

(و) وكثيرا ما تتحول الجمل عن أبوابها الاصلية لأغراض بلاغية ، فتستخدم الجمل الاخبارية فى أمور أخرى غير الاخبار : كالالتماس أو الأمر فى نحو « تجيئنى غدا » ، أو العتاب والتأنيب فى نحو « عبس وتولى أن جاءه الأعمى» ، أو التحسر أو الفخر أو المدح أو الاسترحام... الخ . ـ وتتحول جمل الأمر والنهى عن ابوابها فتستخدم مثلا فى الدعاء

او التهديد او التعجيز وما الى ذلك : كقوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا » ، و « اعملوا ما شئتم » ، و « ايتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم ان كنتم صادقين » ٠ — وتتحول جمل الاستفهام عن بابها ، فتستخدم في الأمر او التهديد او الاستبطاء او الانكار او التعجب او التهكم او الفخر او المدح او تقرير المعنى وتوكيده ٠٠٠ وما الى ذلك : كقوله تعالى « فهل أنتم منتهون ؟! » ، و « اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟! » ، و « أصطفى البنات على البنين ؟! » ، وكقول الشاعر : « وهل بفتى مثل على حاله نكر ؟! » ٠ — وتتحول الجمل الدعائية عن بابها ، فتستخدم للدلالة على التعجب او زيادة التنبيه او توكيد الكلام والعناية بالحقيقة التي يراد تقريرها وما الى ذلك نحو : « قاتله الله ما أذكاه !» ، و « من يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم » ، وقوله عليه السلام في جواب من قال له أو نحن محاسبون على ما نقول « ثكلتك امك ! وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ؟ ! » ، وقوله « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ! » ٠

(ز) وقد يسند الفعل الى غير محدثه الحقيقي لغرض بلاغي كقولك « بنى الأمير المدينة » ، و « قتل القائد خمسين الفا من الأعداء » ٠

(ح) وقد يستخدم المفرد في مدلوله الأصلي ولكن يشبه بمدلول مفرد آخر مع ذكر أداة التشبيه او حذفها ، كقولك « محمد كدائرة المعارف في علمه » أو « محمد دائرة معارف في علمه » ٠

(ط) وقد تستخدم العبارة في مدلولها الاصلي ، ولكن تذكر بعدها عبارة أخرى لتشبيهها بها في مدلولها ، كقولك « مثل الذى يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج الذى يضيء للناس ويحرق نفسه » ، وقد يكتفى بالعبارة الثانية في اثبات الحقيقة التي يراد اثباتها كقول المتنبي :

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

وقد جمع علماء البلاغة هذه الطرائق جميعا في علم واحد سموه « علم البيان » ، وأعطوا كل طريقة منها اسما خاصا لتمييز بعضها عن بعض فاعطوها بحسب ترتيبها السابق أسماء الاستعارة والمجاز المرسل والنقل والاستعارة التمثيلية والكناية وتحول الجمل عن أبوابها والمجاز العقلي والتشبيه والتمثيل ، ووضحوا القواعد التي سارت عليها العربية الفصحى في كل طريقة منها ، وضربوا لها مئات الامثلة من القرآن والحديث وكلام العرب شعره ونثره في مختلف العصور ، وبينوا ما لكل طريقة منها من أثر في بلاغة القول ، وروعة العبارة ، وايصال الحقائق الى الاذهان ٠

وفي توضيح هذه الآثار يقول عميد علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » :

« قد أجمع الجميع على ان الكناية أبلغ من الافصاح والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة مزية وفضلا ، وان المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة ٠٠٠ وقد جاءت بلاغة هذه الاوضاع من طرائق اثبات الحقائق وتقريرها ومن تضمنها اقامة الدليل على صحتها ٠ — اما الكناية فان السبب في ان كان للاثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها وايجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من ان تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ، وذلك انك لا تدعى شاهد الصفة ودليلها الا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط ٠٠٠ فاذا أردت وصف شخص بالكرم والسخاء في قرى الضيوف فكنيت عن ذلك بقولك « انه جم الرماد » ، فانت بذلك تكون قد اثبت له الكرم والسخاء في القرى من وجه هو أبلغ ، واوجبته ايجابا هو أشد ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق ، وبصحتها أوثق ، لاقامتك الدليل عليها بكثرة الرماد المتخلف عن شواء الذبائح المقدمة الى الضيفان ٠ — وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة انك اذا قلت « رأيت أسدا » كنت قد تلطفت لما أردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول ، وكالأمر الذى نصب له دليل يقطع بوجوده ٠ وذلك أنه اذا كان أسدا فواجب أن تكون له الشجاعة العظيمة ، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها ٠ واذا صرحت بالتشبيه فقلت « رأيت رجلا كالأسد » كنت قد اثبتها اثبات الشيء يترجح بين ان يكون وبين ان لا يكون ، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء ٠ — وحكم الاستعارة التمثيلية حكم الاستعارة في المفردات سواء بسواء ٠ فانك اذا قلت « أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى » تكون قد أوجبت له

الصورة التى يقطع معها بالتحير والتردد ، فكأنك أقمت الدليل على تحيره وتردده · ـ وكذلك الشأن فى التمثيل اذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصار فى معرضه · فانه اذ ينقلها من صورها الأصلية الى صورته يكسوها أبهة ، ويكسبها منقبة، ويرفع من أقدارها ، ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعوة القلوب اليها · فان كان مدحا كان أبهى وأفخم ، وأنبل فى النفوس وأعظم ، وان كان ذما كان مسه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده أحد · وان كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر · وان كان افتخارا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد · وان كان اعتذارا كان الى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أفل · وان كان وعظا كان أشفى للصدور ، وأدعى الى الفكر ، وأبلغ فى التنبيه والزجر · وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه ، وتتبعت أبوابه وشعوبه · فانظر مثلا الى نحو قول البحترى :

دان على أيدى العفاة وشاسع
عن كل ند فى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه
للعصبة السارين جد قريب

(والعفاة جمع عاف وهو طالب الفضل والاحسان) ·

وفكر فى حالك وحال المعنى معك وأنت فى البيت الأول لم تنته الى الثانى ولم تتدبر نصرته اياه وتمثيله له فيما تملى على الانسان عيناه ، ويؤدى اليه ناظراه ، ثم قسهما على الحال وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فانك تعلم بعد ما بين حالتيك ، وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك ، وتحببه اليك ، ونبله فى نفسك · وهكذا ، فتأمل بيت أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذى يليه ، والتمثيل الذى يؤديه ، واستقص فى تعرف قيمته على وضوح معناه وحسن مزيته ، ثم أتبعه اياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته ، واظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف عوده ، واستكمل فضله فى النفس ، ونبله ، الا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير » ·

« واذا بحثنا عن العلة والسبب لم كان للتمثيل هذا التأثير وجدنا له أسبابا وعللا كل منها يقتضى أن يفخم المعنى بالتمثيل وينبل ، ويشرف ويكمل · فاول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى الى جلى ، وتأتيها بصريح بعد مكنى ، وأن تردها فى الشىء تعلمها اياه الى شىء آخر هى بشأنه أعلم ، وثقتها به فى المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل الى المحس ، وعما يفهم بالفكر الى مايعلم بالاضطرار والطبع · لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر فى القوة والاستحكام · ومعلوم أن العلم الأول أتى للنفس أولا من طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو اذن أمس بها رحما ، وأقوى لديها ذمما ، وأقدم لها صحبة ، وآكد عندها حرمة · فاذا نقلتها فى الشىء بمثله عن المدرك بالعقل المحض وبالفكرة فى القلب الى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع وعلى حد الضرورة ، فأنت كمن يتوسل اليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم · فأنت اذن مع الشاعر وغير الشاعر اذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثل ، ثم مثله كمن يخبر عن شىء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ، ويقول ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت » (بتصرف من أسرار البلاغة ٨٦ ـ ٩٦ ، ودلائل الاعجاز ٥١ ـ ٥٦) ·

ومن أجل ذلك كان للطرائق السابقة جميعا فضل كبير فى سمو أساليب العربية الفصحى ، وشدة تأثيرها فى النفوس ، وقوة بلاغتها ، وحسن بيانها ، ومرونة تعبيرها ، وما وصلت اليه من مكانة منقطعة النظير فى ميادين الشعر والخطابة والرسائل والتوقيعات والقصص والنثر الفنى ومختلف فروع الآداب ·

وللمجاز والنقل على الأخص أثر جليل فى اتساع العربية الفصحى ونموها وقدرتها على التعبير عن المعقولات المحضة ومعنويات الأمور ، فكثير من الألفاظ العربية الدالة على المعانى الكلية والظواهر النفسية منقولة فى الأصل من الامور الحسية عن طريق المجاز ، ثم شاع استعمالها فى معانيها الجديدة حتى أصبح اطلاقها عليها من قبيل الحقيقة اللغوية ·

وبفضل المجاز والنقل اتسعت العربية الفصحى

للعلوم والفنون ومصطلحاتهما على اختلاف أنواعهما ، وللحضارة على كثرة مظاهرها ، فنهضت بالعلوم الشرعية واللغوية والطبيعية والرياضية وعلوم النفس والاجتماع ، وصارت لسان الفلسفة والسياسة والقصص والصناعة والفن ومختلف ضروب المعاملات . وبالجملة لم تقف أمام أى مظهر من مظاهر العلم أو الحضارة وقفة المتعثر الحائر ، بل خاضت في مختلف مناحي القول ، وقويت على التعبير عن شتى مظاهر التفكير .

٢ – ومن طرائق التعبير في العربية الفصحى ما يتعلق بمطابقة الكلام لمقتضيات الأحوال ، وهى القواعد التى يسير عليها الاسلوب العربى بصدد توكيد الكلام واطلاقه ، والاطناب فى القول والايجاز فيه ومساواته لما يراد التعبير عنه ، وفصل الجمل بعضها عن بعض أو وصلها ، وقصر الحكم وتخصيصه ، وذكر جميع عناصر العبارة وحذف بعضها ، وتقديم بعض هذه العناصر على بعض ، وتعريفها وتنكيرها .. وهلم جرا . ولشرح هذه القواعد ومدى تحقيقها لبلاغة الكلام ومطابقته لمقتضى الحال أنشىء علم خاص ، هو « علم المعانى » ووفق علماؤه أيما توفيق فى حصر قواعده وطرائقه ، وبيان ما لكل طريقة منها من أثر في تحقيق هذه الأغراض .

وان الملمة بمسائل هذا العلم لكافية فى الدلالة على سمو الاساليب العربية ، ودقتها فى الافادة ، ومرونتها فى التعبير ، وحرصها على بلاغة القول ، ومطابقته لمقتضيات الأحوال ، وتوخيها الوصول الى الغرض عن أقرب الطرق وأكثرها اقتصادا فى الكلمات ، حتى ان حرفا واحدا ليكفى فى العربية الفصحى لتحقيق طائفة كبيرة من هذه الاغراض . وفى هذا يقول عميد علماء البلاغة عبد القاهر الجرجانى :

« روى عن ابن الانبارى انه قال : ركب الكندى الفيلسوف الى أبى العباس (يقصد المبرد أو ثعلب فكلاهما كانت له هذه الكنية وكانا معاصرين) وقال له : انى لأجد فى كلام العرب حشوا . فقال له أبو العباس فى أى موضوع وجدت ذلك . قال أجد العرب يقولون عبد الله قائم ، ثم يقولون ان عبد الله قائم ، ثم يقولون ان عبد الله لقائم . فالألفاظ متكررة والمعنى واحد (يقصد أن حرفى ان واللام الداخلين على الجملة هنا من قبيل الحشو الذى لا يفيد معنى زائدا فى الجملة) . فقال أبو العباس : بل المعانى مختلفة باختلاف الألفاظ . فقولهم عبد الله قائم اخبار عن مجرد قيامه (أى اذا كان المخاطب خالى الذهن) ، وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل . وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه (أى ان حرفى ان واللام افادا زيادة التوكيد والرد على الانكار) . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى . – واذا كان قد ثبت ذلك فاذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن فى خلافه البته فانت لا تحتاج هناك الى « ان » ، وانما تحتاج اليها اذا كان له ظن فى الخلاف ... ولذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر يبعد مثله فى الظن وشىء قد جرت عادة الناس بخلافه ، كقول ابى نواس :

عليك باليأس من الناس
ان غنى نفسك باليأس

فقد ترى حسن موقعها وقبول النفس لها . وليس ذلك الا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحملون أنفسهم على اليأس ولا يدعون الرجاء والطمع ولا يعترف كل أحد ولا يسلم أن الغنى فى اليأس ، فكلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى التأكيد فلذلك كان من حسنها ماترى » .

« واعلم أن هنا دقائق لو أن الكندى استقرى وتصفح لعلم علم الضرورة أن ليس سواء دخولها (أى دخول ان) وأن لا تدخل . فانظر فى بيت بشار :

بكرا صاحبى قبل الهجير
ان ذاك النجاح فى التبكير

وذلك أنه هل شىء أبين فى الفائدة ، وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل أنك ترى الجملة اذا دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به ، حتى كأن الكلامين قد أفرغا افراغا واحدا ، وكان أحدهما قد سبك فى الآخر ، حتى اذا جئت الى ان واسقطتها رأيت الثانى منهما قد نبا عن الأول ، وتجافى معناه عن معناه ، ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل ، حتى تجىء بالفاء فتقول : بكرا صاحبى قبل الهجير ، فذاك النجاح فى التبكير . ثم لا ترى الفاء تعيد الجملتين الى ماكانتا عليه من الألفة ، وترد عليك الذى كنت تجد فى « ان » من المعنى . وهذا الضرب كثير فى التنزيل . فمن ذلك قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم » ، وقوله عز اسمه : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم

الأمور » ، وقوله سبحانه : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (دلائل الاعجاز ٢٢٦ ـ ٢٣٤ بتلخيص وتصرف) ·

بل ان الغرض البلاغي ليتحقق أحيانا فى العربية الفصحى بمجرد تغيير حركة من حركات الكلمة · فمن ذلك قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » · ففى تغيير حركة « الصابرين » من الرفع الذى يقتضيه العطف على كلمة « الموفون » الى النصب دلالة على مزيد اهتمام بصفة الصبر فى البأساء والضراء وفضلها على سائر الاعمال ، كأنه قد قيل قبلها وأخص بالمدح وأخص بصفة البر الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ·

بل ان الغرض البلاغي ليتحقق أحيانا فى العربية الفصحى بحذف كلمة يقتضى التركيب العادى ذكرها · وقد أشار الى ذلك العلامة عبد القاهر الجرجانى فى أسلوب رائع اذ يقول :

« ان الحذف باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر · فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ماتكون اذا لم تنطق ، وأتم ماتكون بيانا اذا لم تبن · تأمل قول الأقيشر فى ابن عم له موسر سأله فمنعه ، وقال كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا ينفع ، والله لا أعطيك ، فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم فشكاه الى القوم وذمه ، فوثب اليه ابن عمه فلطمه ، فأنشأ يقول :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه
وليس الى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه
وليس لما فى بيته بمضيع

(الأصل : هو سريع الى ابن العم ، وهو حريص على الدنيا ·· الخ) ·

فانظر ماتجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف فى هذين البيتين ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه الى لفظك ، ترى ثقل وقعه على سمعك ، وتعلم أن رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد ، وأن تصبة الكلام وهيأته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ (كلمة هو) وتباعده عن وهمك ، وتجتهد الا يدور فى خلدك ، ولا يعرض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقاه توقى الشىء يكره مكانة والثقيل يخشى هجومه » · (دلائل الاعجاز ١٠٥ ـ ١١٩ بتلخيص وتصرف) ·

هذا ويبدو قصور العامية أوضح مايكون بالموازنة بينها وبين العربية الفصحى فى هذين النوعين من طرائق التعبير (موضوع علم البيان وموضوع علم المعانى) · وذلك أن العامية فقيرة فقرا مدقعا فى جميع هذه الميادين · فليس لها فى هذا الصدد الا طرائق بدائية ساذجة محدودة ·

فهى لا تستخدم من ضروب البيان الا التشبيه المقترن بالأداة والمجرد منها ، فيقال : « دى زى الأمر » (هذه كالقمر) ، أو « دى بدر ليلة أربعتاشر » هى بدر ليلة الرابع عشر) ، والتمثيل الساذج وضرب الامثلة : « دا عامل زى اللى رأس على السلم لا اللى فوه شافوه ولا اللى تحت شافوه» (كمن رقص فى وسط الدرج فلم يره من هم أعلى منه ولا من هم أسفل منه) ، و « أردب ما هولك ما تحضر كيلو ، تتغبر دأنك وتتعب فشيلو » (لا تحضر كيل اردب ليس لك ، فانه لا يصيبك منه الا ما يلحق لحيتك من غبار ترابه وتعبك فى حمله » ·

وليس فى العامية قواعد مطردة مضبوطة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وليس فيها أدوات دقيقة للابانة عن المقاصد البلاغية المتعلقة بالتوكيد والاطلاق والاطناب والايجاز والمساواة والفصل والوصل والقصر والتخصيص والذكر والحذف ··· وما الى ذلك ، وهى تلجأ فى الغالب الى حشو من الألفاظ والجمل للتعبير عن مقصد من هذه المقاصد ، ولا تكاد مع ذلك تحسن الابانة عنه ·

وغنى عن البيان أن لغة هذا مبلغ قصورها واضطرابها وفقرها المدقع فى طرائق التعبير لا تصلح أن تكون أداة لشعر ولا نثر فنى ولا خطابة ولا رواية ولا أى فرع من فروع الآداب ·

واذا كان الشعوبيون من المبشرين والمستعمرين وعملائهم وأذنابهم يلحون فى الدعوة الى هجر العربية الفصحى واستخدام العامية ، فانهم لايقصدون بذلك الا تحقيق مآربهم الآثمة فى القضاء على أهم دعامة من دعائم ثقافتنا وآدابنا ، وردنا الى الأوضاع البدائية فى التفكير والتعبير ·

« د · على عبد الواحد وافى »

.. أم على قلوب أقفالها !

بقلم : محمود محمد شاكر

- ١٤ -

هذه أول مرة أستبيح لنفسى أن أجعل ما تسمعه أذناى مادة لبعض حديثى الى الناس بالكتابة . فذلك ليس من شيمتى ولا خلقى ، لأنى أعد اللجوء الى هذا النمط ، ولا سيما حين أتناول أمرا من أمور الأدب أو العلم أو السياسة أو غيرها ، خروجا على ما أدبنى به طول اعتزالى الناس من ترك المبالاة بما تتلاغط به جماهير من الخلق تعد خطأ فى «المثقفين» وليسوا بهم، ولكنهم، اذا حصلت ما فى صدورهم وقلوبهم وعقولهم، أصحاب ثرثرة وترترة وبربرة (وهى ثلاثة ألفاظ متقاربة فى معانى اللغط والاكثار والهذر . بيد أن الفروق بين ثلاثتها ، تدل على أن هذه اللغة الشريفة غاية فى براعة التصوير بألفاظها الجامعة) . وهم ، أيضا ، فى حقيقة أمرهم ، مزامير مزعجة مختلطة الأصوات فى المجالس ، أو شجر مر الثمر مزروع على قوارع الطرق ، أو أحلاس مرذولة لكهوف المقاهى المظلمة أو المضيئة ، ولكنها على ذلك كله أحلاس ذات فحيح أو ذات جعجعة . ثم لا شىء وراء ذلك الا ما قدر المقدر من تكاثرها وانتشارها وشيوعها فى حياتنا ، بأسباب يعجب المرء كيف جاءت ، ولم اتفقت ؟ فاذا هى فى زى أستاذ ، أو مفكر ، أو فيلسوف ، أو أديب ، أو شاعر ، أو كاتب ، أو فنان ، أو ما شئت مما ترى وتسمع ! وقد أجاءنى طول اختبارى لها وتجربتى (أى اضطرنى الى أضيق الطرق) ، أن أعتزل عشرتها ومصاحبتها منذ زمان وأن أنفض ثوبى من ثيابها ، وأن أقنع بعشرة أهل الفضل من قليل الناس ، حتى خلتنى قد دخلت مع شيخ المعرة ، رحمه الله ، فيما دخل فيه ، حيث وعظ نفسه وقال :

لم يبق فى العالمين من ذهب
وانما جل من ترى شبه

دعهم ، فكم قطعت رقابهم
جدعا ، ولم يشعروا ولا أبهوا
قد مزجوا بالنفاق فامتزجوا
والتبسوا فى العيان واشتبهوا
وما لأقوالهم اذا كشفت
حقائق ، بل جميعها شبه

وقد حملنى على استباحة ما أنا مستبيحه ، هذا الباغى السليط اللسان ، الوالغ فى آداب العرب وتاريخها ، العابث فى جهله بلغتها ، وبقرآنها ، وبحديث نبيها صلى الله عليه وسلم ، وبشعر شعرائها ممكنا من كل ذلك بفضل مؤسسة الاهرام التى اتخذته لها مستشارا ثقافيا ، وتركت له الحبل على الغارب يسرح ويمرح ، ويرتع ويلعب ، وكأنها هى لا تدرى من هو ، ولا من يكون ؟ فصار هو لا يبالى من القراء ، ولا من يكونون ؟ وبعقله ظن أنهم جميعا بله لا يعقلون !!

وساحسم هذه المادة الخبيثة ببيان واضح ، لأنى منذ كنت على هذه الارض ، لا أطيق أن أسلك الا السبل الواضحة البارزة ، ولا ألوذ بالظلال المظلمة متخفيا الى غاية أريدها ، فذلك شىء أعافه وأنزه نفسى عنه فى خاص أمورى وعامها . هكذا عشت ، وأسأل الله أن يسددنى على ذلك ما بقى فى نفس يتردد . ومنذ شهور جاء ما لا صبر عليه ، وخرجت من معتزلى ، حيث أحببت أن أقضى نحبى غير مذكور ولا معروف ، وحملت القلم الذى كرم الله به عباده حيث قال لنبيه فى تنزيله : « اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » ، وذلك بعد أن نحيته عن أناملى دهرا ، مخافة أن أعجز فلا أطيق أن أقوم بأمانته ، وهى أشرف أمانة استودعها

الله حمله الاقلام من عباده ، خرجت يومئذ وحملته ، لا لشيء الا لأداء هذه الامانة ، لأني أحسست أن النكوص عن أدائها خيانة لأمانة الله سبحانه ، وخيانة للعلم الذي علمنيه ربي ، وخيانة للماضين من آبائي ، وللحاضرين من أهلي وعشيرتي ، وللآتين من ذرية وارثة نحن الأمناء على تبليغها وأداء الامانات كلها اليها . وهذا أمر جد كله ، لا يخالطه عندي هزل ، لأنه دين أنا مسئول عنه بين يدي رب العالمين وليس مغالبة ولا حمية جاهلية .

وعسير جدا على خلق كثير ، أن يدرك اليوم معنى هذا اللفظ « دين » عندنا نحن المسلمين ، لأن المسلمين منذ غلبوا على أمرهم بغلبة هذه الحضارة الأوربية على الارض ، مسلمها وكافرها ، تلجلجت ألسنتهم بالغرق والذعر لهول المفاجأة . فصار لسان أحدهم أحيانا كأنه مضغة لحم مطروحة في جوبة الحنك ، ليس من عملها البيان !! فمن يومئذ خفي على الناس معنى « الدين » ، اذ لا مبين عن معناه ، وذاع في الارض معنى « الدين » ، كما يراه سائر أصحاب « الديانات » سوى الاسلام . و«الدين» عندنا اسم جامع لكل تصرف يتصرفه المرء المسلم في حياته ، منذ يستيقظ من نومه ، الى أن يؤوب الى فراشه ، وفي كل عمل يعمله ، مهما اختلفت هذه الاعمال . من أحقرها وأدناها ، الى أشرفها وأعلاها ، كل ذلك هو مسئول عنه يوم القيامة ، كما يسأل عن صلاته وصيامه وزكاته وحجه ، وان كان في بعض ذلك على بعض فضل . فالدين عندنا هو الحياة كلها ، فحق الله على العباد ، وحق العباد على العباد وحق بدن العبد على العبد نفسه ، كل ذلك دين هو مسئول عنه ، في الصغير والكبير ، وفي أمر الدنيا وأمر الآخرة . وهذا فرق ما بيننا وبين سائر أصحاب الأديان في معنى « الدين » بلا مثنوية (أي بلا استثناء) .

فمن ظن أني حين أحمل القلم ، أحمله وأنا مستخف بهذه الأمانة أو مداهن في طريق أدائها ، فقد أخطأ . ومن ظن أني أفكر حين أفكر لأكتب ، وأنا مسقط عن نفسي وعن كاهلي عبء هذه الأمانة ، فقد أخطأ . ومن ظن أني حين أكتب في أدب ، أو نقد ، أو تاريخ ، أو سياسة ، أو ما كان من أبواب القول لا أرى شيئا من هذا أمانة ينبغي أن أؤديها على وجهها وبحقها ، فقد أخطأ . وكيف ؟ وأنا أخاف أن ألقى الله ربي يوم القيامة فيناقشني الحساب ، و « انه من نوقش الحساب عذب » ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولن يحول بيني وبين أداء هذه الأمانة ان شاء الله ، الا عذر قاهر يغلبني ، أو حتف دائر يقبضني .

وهذا أمر لا أظن لويس عوض وأشباه لويس عوض ، قادرين على ادراكه حق الادراك ، ولا أبالي أن يدركوه ، لا لأني أكره لهم الخير ، بل لأني أرى نفوسا قد مردت على الهوى والمكر والتناجي بالاثم ، فهي لا تكاد تنقاد الا لما مردت عليه . فهذا المرء لا يزال يدور على الآذان يزمزم فيها (والزمزمة تراطن علوج الفرس بصوت تديره في حلوقها وخياشيمها ، فيفهم بعضها عن بعض) ، ليشيع عني أني عمدت فيما أكتب الى «التجريح الشخصي» والى «التعصب» على أهل دين من الأديان ، والى « بعث فتنة قومية ودينية » ، الى سائر ما يوسوس به ، مما أعف عن التصريح به من افك يتمرغ فيه اللسان . ولقد كنت أشرت الى بعض ذلك في المقالة الثامنة ، ثم زدته بيانا في المقالة التاسعة . بعد أن فوجئت بما أذهلني ، حيث ردد هذا الكلام نفسه مكتوبا ، زميلي القديم الدكتور محمد مندور . وقد مضى على ما كتبت شهر أو أكثر ، ولكن هذا الغلام لا يريد أن ينتهي ، ويأتيني الخبر بعد الخبر ، فأجده لم يزل على العهد مقيما هو وشيعته ، فيدور هو ، ويديرهم هو أيضا ، على الناس ، ليصبوا في الآذان التي شقها الله للسمع ، ما لا يجرؤ هو ولا أحد منهم أن يكتبه معلنا به . ويفعلون ذلك ويلحون عليه ، اذ هم صموت لا يردون على شيئا مما أقول ، لتلبس وسوستهم ثياب الشكوى ، فتكون في استغفال عقول السامعين أسرع ، وفي اشاعة قالة السوء عني أمضى ، وفي اقناع الغافل بأن ذلك كائن وبأنه صحيح أفعل ، على طول الترداد لهذه الألفاظ المبهمة المعاني ، المجوجة المباني ، السخيفة جيئة وذهوبا حيث سارت في الطروس والآذان . وأنا لايسوءني ذلك من فعلهم ، فهي شنشنة قديمة توارث داءها طوائف من أبناء آدم منذ كانوا على الارض ، بيد أن العاقل من تأدب بأدب أخي سلول حين لقي من هذا الداء القديم ما لقي ، فذكر قصته فقال :

ولقد امر على اللئيم يسبني
فمضيت ثمت قلت : لا يعنيني

غضبان ممتلئا على اهابه
اني ، وحقك ، سخطه يرضيني

انه فعل لايسوءنى قلامة ظفر، ولكنى اذا سمعت خبره من سائل او مستفهم ، ساءنى ان ارد ، لانه مما يؤذينى ان اكون كمثلهم مستخفيا بحديث أسره ، فمن أجل ذلك عزمت على ان اكوى هـذا القرح الممد بكلمات لا تتلفع بالظلماء ، ولا تدب الى احد بالمكر الخفى .

وما يذيع به هذا الانسان وشيعته المبثوثون بين الناس ، من أنى عمدت فى مقالاتى الى « التجـريح الشخصى » فهو شيء من الباطل يلجأ اليه العاجز يتخذه درعا لعجزه ، فيستخدم شناعة هـذا اللفظ المبهم ، وسيلة الى اقناع السامع بانه لم يتوقف عن الرد عجـزا ، بل تنزها وترفعا عن التـورط فى ارتكاب مثله ، مما تكرهه النفوس وتعافه . ونعم ، فانا لم أحبس قلمى عن تسطير كلمة بعد كلمة فيها وصف له يسوءه هو أن يسمعه ، لانه شيء يخفيه أو يضمره أو يعـرفه عن نفسه ويتظـاهر للناس بغيره ويؤذيه أن يسمعه النـاس أو يعرفوه ، لأنه كان يتمنى أن يظل مكنونا مضمرا . ولكنى لم آت فى كلامى بصفة واحدة من صفاته ، الا ولها دليل ظاهر من نفس كلامه ، لا فيما ذكرته من كلمـاته المقتبسة من مقالاته وكتبه وحسب ، بل فيمـا لم أذكره بعد ، وسأذكره بدليل قاطع ان شاء الله .

فليس « تجريحا شخصيا » ، أن ادرس ما كتب عن شيخ المعرة ، فأجده قد تنفخ متطاولا ، طـولا وعرضا ، واذا هو بعد الفحص عن حقيقة تنفخـه وتطاوله ، لا يحسن أن يقرأ كتابا ، ولا يحسن أن يستقيم على منهج أدبى فى الدراسة ، ولا يحسن أن يفهم شعرا ، فاذا قلت انه « شرلتان » ، وهى كلمة معروفة المعانى عند أصحابها ، وفى استطاعته أن يقرأ شرحها فى أى معجم ، فيجد هذا الشرح مطابقا لما كان من فعله فى دراسة رسالة الغفران وفى تاريخ شيخ المعرة ، فهل يكون هذا « تجريحا شخصيا»؟ واذا رأيته قد أقر على نفسه انه مبغض للغة العرب « فكسر رقبة بلاغتها » ، وأن احساسه بها ضعيف بالفطرة ، وأنه اعترف لنفسه « بانه لم يقرأ حرفا واحدا بالعـربية بين سن العشرين وسن الثانيـة والثلاثين » (وهى سن التـكوين ، كما يقـول فى معرض ذكره لأبى العلاء) ، ثم رأيته يتهجم على أعظم اثر ادبي واوعره مسـلكا فى لغة العرب ، فيحاول أن يفسره ويكشف غوامضه ، فهل يعد « تجريحا شخصيا » أن اقول له : انك مجترىء دعى ؟ فاذا لم يقتصر على هذا ، حتى عمد الى شعر الشيخ يشرحه بجهالته فى العربية ، ثم سولت له نفسه أن يفسر أيضـا آية من **القـرآن العظيم** بلا تحرج ، ومدعيا انه قد قرأ تفاسير القرآن وموهما قراءه ان هذا التفسير الفاسد مأخوذ منها ، فهـل يكون « تجريحا شخصيا » اذا قلت له انك جاهل جدا ، وجرىء لا تستحى ؟ هل أقص القصة كلها ، من هذا الموضع الى أن كان ما كان منى ، اذ سلكته بالدليل من قوله وفعـله ، مع صبيان المبشرين الذين عرفتهم وخبرتهم واكتويت بنارهم منذ أكثر من اربعين سنة ؟

ما الذي يريد هـذا الانسان منى أن أقـوله ؟ أيريدنى على أن أدعه يتـكلم ويفعـل ، ثم أكتب لأحاوره وأداوره وامسه باطراف البنان ، لأنه عند نفسه انسان مثقف ، ينبغى أن يخاطب مخـاطبة الانسان المثقف ؟ وماذا أفعل ياسيدى ، اذا كنت أجدك انسانا غير مثقف ، لأنى لست ممن يغـرهم هذا الضرب من « الثقافة » ؟ هل تظن انى قادر على أن أنخـدع لك عن عقل ، فانسى كل ما قـرأت بالعربية وغير العربية ، لا لشيء الا لأعترف لك بهذا الضرب من « الثقافة » ، وان خالف ما اعرفه من معنى «الثقافة» عند العرب والأعاجم ، على اختلاف أجناسهم ومللهم ونحلهم ؟ دع ذا ، فانه لايغنى عنك فتيلا ، ولا تحملنى على أوعر مما حملتنى عليه بتهجمك على ما لاتعرف وما لا تحسن . واذا كنت قد كرهت شيئا ، فاشـد ما كرهت أن غمست قلمى فى صفاتك ، ولولا أداء الأمانة على وجهها وبحقهـا ، لأعفيته مما اكره ويكره .

اما **«التعصـب»** على اهـل دين من الاديان ، و « ارادة بعث فتنة قومية ودينية » فلا ادرى ماذا اقول ! أأقول مايقال فى المثـل : «رمتنى بدائهـا

وانسلت» ؟ ام اقول ماعندى خبره ، فاروى للناس اقوالا واعمالا تدل على المخبوء تحت اردية الثقافة» وتحت طيلسان «الاستاذية» ؟ كلا ، فانه معيب ، ولكن حسبى ماكشفت عنه فى سالف مقالاتى ، وفيما سيأتى منها ، ليكون اللفظ المكتوب هو البرهان الفاصل ، لاالدعوى والشكوى والتباكى ، واستغلال الدين الذى تنتسب اليه استغلالا مشينا ، حين تلوح به فى وجوه الناس ، كأنك أنت الدين نفسه ، وكأنك انت وحدك الامة التى تدين به ، فكل مايقال لك مما يكشف عن سوء طويتك ، فهو مراد به هذا الدين واهله . انه لقبيح بك ان تفعل ذلك ، ولكن مالى أعظك ، اذ كنت امرءا لايبالى ؟

وهذا المسكين قد استمرأ هذه الالفاظ المنكرة لعلة ، فانه لما خرج على الناس يتبجح بدراسة رسالة الغفران ، وضع فى راس مقالته الرابعة بيتا من شعر ابى العلاء ، زعم هو انه قاله فى حلب ، وهو فى وصف ناقة !! وقرأ فيه «الصلبان» ، وهو نبت ترعاه الابل «الصلبان» ، وهو جمع «صليب» ، انبرى له الاخ الاستاذ عبده بدوى فى عدد الرسالة (١٠٨٧ ، ٨ رجب سنة ١٣٨٤) فكشف عن جهله وغروره وتسرعه وسوء مقاصده ، وتسامع الناس بما فى هذه المقالة قبل ان تنشر ، ووقع الى المسكين خبرها ، فبادر فى وسط المقالة الخامسة (الاهرام ٩ رجب سنة ١٣٨٤) فاقحم فيهـا ، مربعا ، فيه تصويب ، وقال فى آخره : «وقد نبه الى هذا الاستاذ الشيخ شاكر ، المحقق المعروف» . وهذا هذر وادعاء ، لأنى بلاشك غير معروف عنده على الاقل ، لانى يوم كنت اكتب ، كان هو لايقرأ شيئا بالعربية ، أو كما قال . ثم لو انه عرفنى ، لعرف انى لست «الشيخ شاكر» لان ذلك معروف به ابى واخى الاكبر رحمهما الله ، اما انا ، فكل من يعرفنى يعرفنى على حقيقتى . وحسبك بهذا ادعاء وتنفخا . ولما استقر فى نفس هذا الذكى المدقق ، المثقف أيضا ، انى «الشيخ شاكر» فنشرت مقالتى الاولى بعد ذلك باسبوعين ، فى عدد الرسالة (١٠٨٩ ، ٢٢ رجب سنة ١٣٨٤) ، ذهب يدور على الناس زاعما ان تعرضى للكتابة فى شانه وشان شيخ المعرة ، معناه انى اريد أن اجعلها **«معركة دينية»** !! وكل امرىء يعلم ، انى لم اذكر فى مقالاتى كلها ، لا المقالة الاولى وحدها شيئا عن الدين ، ولا عن التبشير . فمن أين جاءه علم هذا ؟ من ان اسمى كان عنده «الشيخ شاكر» !! وبلا ريب هذا ذكاء خارق ، لانه ذكاء مثقف من كبار مثقفينا ، كما قال الدكتور محمد مندور ! والحقيقة ان الامر لم يأت على هذه الصورة وحدها ، بل اتى ايضا من انه يعرف نفسه على حقيقتها ، ويعلم ماوراء «الخلوة المشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكامبردج» ، ويعلم انه كتب ما كتب عن شيخ المعرة ، وعن غير شيخ المعرة ، بوحى من «الخلوة المشهودة» ، وانه قد وهب نفسه لهذه الخلوة منذ قديم . فلما جئته أنا فى صورة «شيخ» انشق فؤاده عن مكنونه ، وذعر وطافت به سماديره وجرى اللفظ على لسانه من فرط الرعب وهو لايدرى . فلما رآنى قد شققت عنه ماكان يتخفى فيه من طيلسان الاستاذ الجامعى كان ، سقط فى يده ، واخذته «الجذبة» ، وظل يهدر «التعصب» ، «الفتنة القومية» ، «الفتنة الدينية» !! واستحلى هذه الكلمات . ولكن هذه الحيلة لاتجوز على مثلى ، وان كانت قد جازت على زميلى القديم الدكتور مندور . هذا هو السبب واذا عرف السبب ، بطل العجب . اليس ذلك مما يقال فى المثل ؟ واسوأ شىء أن يضطر المرء الى تحليل السخف الذى ينحل من العقول ، ليرده الى أصوله ومنابعه ، ولكن هكذا قدر الله على ان القى ، وابتلى القراء بى وبما اكتب .

ولو كان هذا المسكين كاتب مقالة كتبها ثم انتهى ، او قائل كلمة نفس بها عن نفسه ثم سكت لتركته حيث هو فى سكراته وغمراته ، ولكن البلوى انه صبى مبشر ، ثم اندس حتى صار بغتة مستشارا ثقافيا لمؤسسة الاهرام ، بعد جهالة امره وخمول ذكره ، فاحدث لهذه الصحيفة العظيمة القدر فى بلاد العرب وبلاد المسلمين ، بلواه بلوى لايدرى المرء كيف يصفها ؟ ونظام « التبشير » معروف ، وقياداته فى بلاد الغرب معروفة ، وهى ظاهرة علانية فى مؤسساته ، وباطنة خفية فى الجامعات وفى وزارات الاستعمار ومن ظن أن «التبشير» ، كما اوضحت ذلك مرارا ، يعمل ظاهرا مكشوف الستر عن اصحابه ورؤوسه واعوانه وصبيانه ، فقد ظن خيرا !! ومن ظن ان « التبشير » يلجأ الى الصراحة فى الدعوة الى ديانته ونقد الديانات الأخرى التى يباغيها ، فقد ظن به شيئا شريفا !! بل هو حليف السراديب المظلمة حيث نشأ ، فأساليبه مظلمة ملتوية غامضة

مداهنة منافقة ! فمن اجل هـذا الذى أعلمه ، والذى خبرته بنفسى لا بالسماع والقـراءة ، لم اتردد لحظة فى مباغتة هذا العابث بالكشف عن حقيقـة أمره ، وباسـتخراج الدليل المبين عن مقاصده ومراميه ، ثم حاولت فى خلال ذلك أن ابين لمؤسـسة الأهرام أى بلاء أنزله هذا اللاهى بمنزلتها عند الناس . ومع ذلك ، فقد اردت أن اكون فى محاولتى رفيقا ، ولكن كلمات هذا المسكين التى يبرطم بها فى الخلوات ، ويوسوس بهـا فى الآذان ، تحملنى آسفا على أن ازيد هذا الأمـر وضوحا وانكشافا .

فانا أقرأ صحيفة الاهرام منذ وعيت وقرأت ، على ماكان من فساد أمرها أيام كانت فى أيد غير أمينة ولا مخلصة ، ومع ذلك فانى لم ارها قط كانت فى مثل هذه الحالة التى صارت اليها ، منذ أصبح ، أو أمسى ، هذا الانسان مستشارا ثقافيا لمؤسسـاتها . فان « التعصب » (أى الانحياز الى عصابة من الناس لها هدف ظاهر او خفى) ، لم يكن قديما عما تراه العين فيها يوما بعد يوم لاتكاد تخطئه . ولكن منذ انحط عليها هذا الانسان، انحطت معه ظواهر كثيرة، حتى صارت صحيفة الأهرام ، هى الصـحيفة التى كادت تكون متفردة بهذه الألوان الفاقعة ، الدالة على اتجاه بعينه ، سواء فى مادتها ، أو فى كتـاب هذه المادة . وأحسست يومئذ أن الجهاز كله بدأ يتحرك ، وقد كان . فبعد قليل أصبح الأمر لا خفاء به ، وعلى مر الايام صار للمستشار الثقافى سلطان ظاهر ، وفائض من هذا السلطان يستطيع أن يخضع له بعض أدوات الاعلام الأخرى . وظهرت الأعراض فى بعض المجلات واستشرت فيها استشراء مبينا ، وتتابـع المدد ، واذا كل شىء يدور فى فلكه . وتظن أنى أغالى ، وارفع شأن من أصفه بما وصفته به ، وكأنه تناقض أقع فيه ، ولكنى أقول مرة أخرى ، ان جهاز «التبشير» فى العالم كله كأنه جهاز واحد ، والتكافل بين مؤسساته شديد العرى ، وحسبك ما أسـلفت من ذكر مؤتمراتهم فى المقالة السادسة وما بعدها . فالعامل فى هذا الجهاز لا يقتصر أمر قوته على نفسه أو على منزلته ، بل على التدبير المحكم ، والسياسـة البصيرة ، والأعوان المدربين . وعسى أن يكون أظهر عماله اسما ، وأبينهم سلطانا ، هو أقلهم شأنا ، وأبعدهم عن مواطن الريب . فليس فى الأمر اذن غلو ولا تناقض . ومؤسسات « التبشير » فى مصر معروفة الأسماء والأعلام ، ونشؤها الذى كفلته ورعته ونشأته لا ارتياب فيه ، هذا فضلا عن جمهـرة من المخدوعين تعمل فى ميدانه ، وهى لاتدرى أنها تعمل لهدم أمتها وبلادها ، لأنهم قد أخذوا من المأخـذ السهل الذى كشفت عنه كلمات نقلتهـا آنفا فى مقالاتى ، وهو التعليم الذى تتولاه معاهد هى فى ظاهرها للعلم ، وباطنها « للتبشير » المجرد .

وبعد سنة ١٩٥٦ ، وهى سنة العدوان الثلاثى الذى تجمعت له دول الاستعمار والتبشير الكبرى ، بدأت جرثومة ذات نشاط مفرط ، كان من عقابيلها المستشار الثقافى لمؤسسات الأهرام ، وأخذ الاتجاه يستبين شيئا فشيئا ، حتى أصبحت الأسماء التى تدل على أصحابها ، والأساليب التى تنم عن مكنون ضمائرهم ، والغايات التى تترامى اليها مقاصدهم ، هى الغالبة على جميع أبواب صحيفة الأهرام ، وان اتخذت أحيانا سمت البحث المجرد فى مصالح الأمة، ووجوه الاصلاح ، مع النغمة العالية فى الاهتمام بالأهداف التى صحبت انتفاضة القومية العربية ، وهى القومية الجامعة لمئة وعشرين مليونا من العرب، ثلاثة وتسعون فى المئة منهم مسلمون على الاقل ، لا يظن أحد أنه سهل اذا افاقوا ، ان يحذفوا تاريخ اربعة عشر قرنا من حياتهم ، بجرة قلم من مؤسسات « التبشير » .

وهذا الضجيج العالى ، وهذه الأسماء التى انبثت فجأة فاصبحت تخايل عيون الناس يوما بعد يوم ، فى هذه الصحيفة ، وفى غيرها من المجلات التى كان لجهاز المستشار تأثير ظاهر عليها ، عادة قديمة جدا ارتكبها « التبشير » ، أو « الاستعمار » مرات فى مواضع كثيرة من الأرض العربية ، وأقـربها مثالا صحيفة الأهرام نفسها ، وصحيفة المقطم ، والهلال ، والمقتطف ، وعشرات من المجلات والصحف فى بلادنا وغير بلادنا . هذا ، الى الأبواق التى انطلقت معها ، لتعلى من ذكر جماعات من الكتاب ، والشعراء ، والعلماء والأدباء ، حتى جـاء يوم فـلان وفـلان من المستشرقين المحدثين ، وتابعتهم فئات من «المثقفين» معلنين أن النهضة الادبية فى بلاد العرب ، انما هى عالة كلها على « نصارى لبنان » هكذا قالوها بصريح العبارة ، وهى كلمة لاتزال تقال الى اليوم ، يقولها

ذو الآفة متعمدا ، والبرىء مقلدا ، وهى مقالة باطلة من جميع نواحيها.ليس هذا مكان الابانة عن بطلانها، لانى انما اردت أن ادل على ان هذه الطريقة قديمة مالوفة ، لجاوا اليها قديما لأغراض ارجو أن أكشف عنها فى مقالة مما سياتى ان شاء الله .

وهذا الأسلوب الذى استحدثه المستشار الثقافى لصحيفة الأهرام ، وهذا الجهاز الذى أداره فى داخلها وخارجها ، أدى الى التساؤل فى بلاد كثيرة من بلاد العرب والمسلمين ، وهو شىء أقوله بعلمى ، لأنى أتلقى السؤال عنه من كل مقيم ووافد، ما بين الهند الى المغرب ، وهو سؤال يحرج المرء أن يجيب ،ولكن ماذا يملك الناس الا أن يسألوا ، وهم انما يعدون هذه الصحيفة صحيفتهم الأولى ؟ سواء صدقت مشاعرهم مؤسسة الاهرام أم كذبت بها . وبالطبع لا يستطيع أحد منهم أن يحصل على هذا الكتاب النفيس المطروح على الأرصفة ، فيعلم أن مصر قد انقلب الأمر فيها فجاة ، فصارت نسبة عدد السكان اليوم : ٦٦ فى المئة مسلمون ، و ٣٣ فى المئة غير مسلمين ، بعد أن كانت النسبة منذ سنة ١٩١٧ ، الى سنة ١٩٤٧ فى أربع احصاءات : ٩٢ فى المئة مسلمون ، و ٧ فى المئة غير مسلمين ، وذلك لأن أستاذا فاضلا كان « مهندس آثار ، وخريج جامعة بنسلفانيا بامريكا » ، وهو مؤلفه ، يقول بلا تحرج : « وتعداد الأقباط الحالى يربو على الثمانية ملايين ، ويدينون بالمسيحية ، ويؤدون شعائرهم الدينية باللغة القبطية ، رغم أن الغالبية العظمى لا تتكلم بها . ويحافظون على كثير من عاداتهم وتقاليدهم ، رغم مشاركتهم المسلمين فى التكلم بالعربية ، ورغم وقوعهم تحت الحكم الاسلامى مدة ١٣ قرنا » . وأنا أترك للقارىء التأمل فى الدافع الذى يدفع الى مثل هذا الكلام ، والنظر فى الشعور الذى تحمله هذه الكلمات الأخيرة ، وبالطبع ليس هذا تعصبا أو بعث فتنة قومية ودينية ، ولكن نقل اياه هنا ، هو « التعصب » ، وهو « الفتنة » . أليس كذلك ؟

وأحب أن أكون بينا عند هذا الموضع ، فان القبط الذين يسكنون مصر ، منتشرون فى أرجائها من حدود البحر المتوسط الى أقصى الصعيد ، وآلاف مؤلفة منهم تعمل فى أعمالها دائبة ، لا تبالى ما يقول هؤلاء « المثقفون » خريجو جامعات كامبردج ، وبنسلفانيا وغيرهما ، ولا تفقه شيئا مما يزمزمون به هم وأشياعهم ، وقد عاشوا ثلاثة عشر قرنا أو تزيد ، لايحملون هذا الذى يحمله أصحاب الألسنة الفصيحة التى تتفلسف ، وتتأدب ، وتؤرخ ، وتعبث ما شاء لها العبث ، وتعطى مقادتها لمستعمر لايريد بها ولا بسائر العرب والمسلمين خيرا . والظن بهم ، وهم سواد القبط ، أن لا يمكنوا هذه الفئة الجاهلة من أسماعهم ، فانها اذ تمكنت منها أضلتهم ، فاذا ضلوا بضلالها أساءوا اساءة لا يمحوها عذر .

ان هذا الجهاز ، جهاز التبشير ، الذى يعمل بلا ملل ولا كلال ، والذى يجدد أساليبه مع كل زمان ، وعند المخافة من انكشافها ، ينبغى أن يتوقف ، وكهوف السرار والدس والتخابث ، التى عندها مفاتح حركته ، ينبغى أن تكف . فالعالم العربى الذى بدأ يتحرك بملايينه ، فيدخلون هم خفية فى حركته ليوقعوا فيها الاضطراب والحيرة والبلبلة ، يوشك أن ينتبه فجأة ، فمن يعصمهم يومئذ اذا أخذهم أخذة رابية ؟ ان هذا الأمر الواضح العواقب، لا يستغلق الا على مثل عقول المبشرين المغلقة ، وعلى مثل قلوبهم الغلف ، وعلى مثل ذكائهم الذى لايحسن الا المكر والخديعة . واذا ظن هؤلاء البله أن ما مر بنا من مكرهم فى استعمارهم الماضى ، وفى تخابثهم بعد زواله عن أرضنا ، سوف ينتهى الى أن يتحول الاسلام الى صورة جديدة فى العقيدة ، وصورة جديدة فى الحياة ، وعندئذ تكون نهايته وتبتلعه النصرانية ، كما زعم لهم القسيس بنج فى بعض تقاريره ، فانهم ليظنون ، ولكن هلا ظنوا أيضا أن الظنون وحدها ترمى فى المتالف ؟

هذه كلمة كنت احب أن لا أكتبها ، ولكنى لن اعرض لشىء عما أثارنى اليها مرة أخرى ، ولو ظل هذا الانسان واقفا على أفواه الطرق ، يتلقى السابلة بالصياح والشكوى والتباكى ، ويلج بأمثال هذه الكلمات التى لا تغنى عنه شيئا ، ولا تنال منى كبير نيل . وليس على الأرض أجهل من قوم يستعرضون الناس بالأذى ، فينالون من آدابهم ، ولغتهم ، وتاريخهم ، ودينهم ، وأنبيائهم ، فاذا زجرهم زاجر وانتهرهم ، راحوا يعولون ويضرعون ، ليسترقوا القلوب بالاعوال والضراعة ، كأنهم مظلومون قد اعتدى عليهم زاجرهم عن هذا الأذى الممقوت . ولا أجد فيما أعلم سيرة هى أولى بالمقت من هذه السيرة .

« **محمود محمد شاكر** »

القراءون

دكتور : فؤاد حسنين على

تحدثنا المصادر التاريخية ان هدم المعبد الاول على يد نبوخذنصر عام ٥٨٦ ق.م. وانقضاضه انقضاض البار على اورشليم وسبى اهلها اوقع الرعب فيمن نجوا من السبى من اليهود فهربوا الى داخل الجزيرة العربية ملتمسين السلامة . وقد تكررت هذه الاحداث طيلة الحروب اليهودية الرومانية وبخاصة بعد هدم (تيتوس) للمعبد الثانى عام ٧٠م وضياع اورشليم وتحريم الاقامة فيها على اليهود .

ومن هؤلاء اليهود الاخيرين تكونت القبائل المعروفة باسم بنى النضير وبنى قريظة وبنى بهدل. اما بنو النضير وبنو قريظة فيعتقدون انهم من نسل (هرون) عليه السلام لذلك يعرفون باسم الكهنة . وهناك قبيلة يهودية أخرى تخالف القبيلتين السابقتين عادات وتقاليد وهى المعروفة باسم بنى قينقاع .

فهذه القبائل وغيرها كانت تنزل يثرب وخيبر ووادى القرى وتطبع افرادها بالاخلاق العربية شهامة وكرامة وشعرا ونثرا . ففى يثرب كانت لهم مدارس واحبار ، واليهود هم الذين ذكروا العرب بالقرابة بينهما ، كما جاء فى سفر التكوين فهم اقارب من ناحيتين ، اما من ناحية (يقطان) واما من ناحية (اسماعيل) ويقطان هو قحطان ومن نسله العرب الجنوبيون كما ان الشماليين انحدروا من نسل سيدنا اسماعيل لذلك انقسم العرب الى قحطانيين واسماعيليين ، فلا غرابة اذا وجدت اليهودية طريقها الى بعض العرب مثل الحارث بن عمرو الكندى وذى نواس .

لكن تنوع العقائد الواحدة قد يؤدى الى الخصومات والمنازعات نوقع منها فى جنوب بلاد العرب ما سجلته لنا المراجع التاريخية والقرآن الكريم وما وقع فى الجنوب تكرر فى الشمال ، وفى يثرب بصفة خاصة بين اليهودية وغيرها ، فنحن نقرا عن امير غسانى هو الحارث بن ابى شمر وقد اقبل على يثرب وقتل عددا كبيرا من يهودها انتصارا لاصحاب العقيدة العربية قبل مجىء الوحى المحمدى .

واستمر النزاع بين اليهود وغيرهم حتى جاء الاسلام فهادنوه علانية ودسوا له سرا فنجد امثال (بنحاس) الذى اشتهر بنكاته اللاذعة والسخرية القاصمة ، وكعب بن الاشرف وغيرهما من اليهود الذين كانوا يسخرون من النبى العربى ويلوون السنتهم بآى الذكر الحكيم ويؤولونها تأويلا خاطئا

وقد قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم سخريتهم هذه بالتسامح الا ان هذا الخلق الاسلامى لم يردعهم مما اضطر المسلمين الى اجلائهم من ارض الحجاز منعا لبعث الفتن وحقنا للدماء . وما خشاه الرسول ومن جاءوا بعده من الخلفاء الراشدين قد وقع فعلا ، وفى بلاد العراق . فقد استغل اليهودى الاصل « عبد الله بن سبأ » اختلاف الرأى بين على ومعاوية وخلق من هذا الخلاف فتنة جارفة عوقت المسلمين واضرت بهم فقد تشيع ابن سبأ لعلى كرم الله وجهه ودعا له بانه بانتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى انتقلت شخصيته الى (على) كرم الله وجهه كما انتقلت شخصية موسى الى فتاه يوشع .

وتحدثنا الروايات اليهودية ايضا ان اكثر من تسعين الف يهودى قدموا على امير المؤمنين على ابن أبى طالب تحت زعامة مدير جامعة (سوار) واسمه (مار اسحق) وبايعوه ، وحذا حذو (مار اسحق) مدير جامعة (بوم باديثا) اى الانبار . ومنذ ذلك العصر دخل التاريخ اليهودى مرحلة جديدة وقام نوع من التعاون بين السلطتين الادارية والتشريعية فى العراق فالحاكم الادارى كان يمثل

اليهود امام الخليفة والولاة ، وكان يقوم على جباية الاموال وتسليمها لبيت المال .

اما السلطات الدينية للطائفة اليهودية فكانت فى يد رجال ، جامعتى سورا وبوم باديتا ، فقد اهتم اساتذتهما بالتلمود وشرحه كما انهم كانوا يصدرون القوانين المتعلقة بالاحوال الشخصية ويقومون على تنفيذها .

ويحدثنا التاريخ اليهودى ايضا ان دستور يهود العراق وفارس تحت راية الاسلام كاد يكون دستور اليهود قاطبة ، وكان يشرف على تنفيذه واحترام نصوصه مجلس الجامعة الاعلى الذى كان يحاكم كل فرد يحاول تحدى هذا الدستور بالجلد أو بالحرمان الدينى . وكان سائر اليهود سواء فى العالم الاسلامى أو خارجه يعطفون على يهود العراق ويرسلون اليهم والى جامعتيهم كثيراً من التبرعات والهدايا لعلمهم أن على ضفاف دجلة والفرات وفى هاتين الجامعتين ، توجه عناية كبرى الى الشريعة اليهودية وتحت رعاية الاسلام .

ولا عجب فى بعث هذه النهضة العلمية الادبية فى العراق، فسكانه من اليهود مثلهم مثل غيرهم من ابناء ملتهم فى مختلف البلاد العربية تقبلوا اللغة العربية مختارين ، واقبلوا على تعلمها مغتبطين ، فالصلة بين اللغتين العربية والعبرية قوية جدا كما ان اعجاب العرب بالعربية وعنايتهم بها نثرا وشعرا وحرصهم على المحافظة عليها فصيحة نقية كل ذلك أثر فيمن خالطهم من اليهود سواء فى الحجاز أو فى غيره ، وبخاصة فان القرون الستة التى مرت على اليهود منذ طردهم من فلسطين على يد الرومان افقدتهم تذوق العبرية وتجويدها حتى اصبح من المألوف لدى اليهود أن يعبروا عن افكارهم وشعورهم فى لغة ركيكة هى خليط من العبرية والكلدانية واليونانية كما ان حالتهم هذه حالت دون خلق آداب عبرية ، ومن باب اولى ماكانوا بمستطيعين قول الشعر أو اجادة النثر ، الا ان نزولهم بين العرب غير هذه الاوضاع فقد اخذوا عنا فن الكلام والنطق الصحيح وفصاحة التعبير، فالقبائل اليهودية مثل بنى قينقاع والنضير وقريظة ويهود خيبر ووادى القرى وغيرهم جاءوا الى اخوانهم فى العراق والشام وفلسطين بعد ان اجلاهم المسلمون من الحجاز وهم يتحدثون لغة عربية ويتأدبون بأدب عربى ويتطبعون بطباع عربية كلها شجاعة ووفاء وكرم واباء . يقولون الشعر فى مختلف فنونه ويعبرون عن خواطرهم فى لغة هى لغة أهل الحجاز وقت نزول القرآن الكريم . نزل اولئك اليهود فى أوطانهم الجديدة فاثروا فى ابناء دينهم تأثيرا قويا، فلم يكد يمضى نصف قرن على تحرير العرب لفلسطين والعراق وغيرهما حتى اصبح فى استطاعة اليهودى التحرير فى اللغة العربية واستطاع الطبيب اليهودى (مسرجويه) وهو احد ابناء البصرة ترجمة كتاب فى الطب من السريانية الى العربية ، وفى سهولة ترجم كثيرون من اليهود امهات المراجع فى اللغة السريانية الى العربية .

ولم يقف اثر العرب والعربية فى اليهود عند اللغة وادابها بل تعدى العربية الادبية الى العربية الدينية الى عربية القرآن الكريم والحرص على المحافظة على كتاب الله، وهذه ظاهرة جديدة لفتت نظر اليهود ودفعتهم الى التتلمذ على العرب ومجاراتهم فى قراءة اسفارهم المقدسة والحرص على نطقها النطق الصحيح الذى يمكنهم من فهمها حق الفهم ، لذلك وجدت الاشارات الدالة على الحركات فى اللغة العبرية حرصا على صيانة متن كتبهم المقدسة من التحريف . واليهود فى كل هذه الخطوات كانوا متأثرين بالعرب .

لكن حياة اليهود العرب لم تكن كلها محاطة بالزهور والرياحين فى اوطانهم الجديدة ، فهم فى العراق والشام وفلسطين يخضعون دينيا لنظام تلمودى شديد يقيد من حريتهم الدينية وتقاليدهم القبلية ، فهم الآن بين امرين اما ان يغيروا من انفسهم وعاداتهم وطباعهم ويروضوا انفسهم على حياة جديدة تتفق والمجتمع اليهودى الدينى الجديد ، واما تتغير أحكام التلمود وبخاصة ما يتعارض منها والحياة الاجتماعية للمجتمع العربى الاسلامى . قديما كانت يهودية ووثنية واليوم يهودية واسلام، واذا ذكرنا الاسلام فانما نعنى دينا فتيا لم يتأثر بعد بفقه الفقهاء وتأويلات المتأولين . الاسلام دين التسامح ، ويقدس حرية العقيدة **لااكراه فى الدين «و» قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر «و» انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا «و» ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها «و» قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها ..**

واذا تركنا العقيدة الى الاحوال الشخصية وجدنا القرآن الكريم يعنى بهذه الناحية الانسانية عناية كبرى فينظم المجتمع الاسلامى تنظيما لم

تات الشرائع الحديثة بخير منه . فالمرأة تتبوأ مكانا رفيعا فيوحى اليها كما يوحى الى الرجل «اذ أوحينا الى أمك ما يوحى » و « أوحينا الى أم موسى ان أرضعيه .. » .

وفى آيات اخرى يقرر الاسلام المساواة التامة بين الرجل والمرأة « فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض » و « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةطيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » .

فمن هذه الآيات وغيرها يتضح لنا ان المرأة والرجل سيان امام الله وسيان فى الحياة الدنيوية فلها الحق فى الميراث والملكية وتتصرف فيما تملك تصرف الرجل « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » و « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا » و « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ».

واذا قابلنا بين المرأة المسلمة وبين اليهودية وجدنا الاخيرة تخضع لتعاليم وشرائع ليست من التوراة فى شيء وانما هى من وضع ربانيى اليهود وضمنوها التلمود . وهذه التعاليم التلمودية وضعت المرأة اليهودية فى منزلة دون منزلة المرأة المسلمة سواء فى الزواج او عند وفاة زوجها او فى حالة الطلاق وغيرها ، لذلك تجد كثيرات من اليهوديات يفضلن الالتجاء الى المحاكم الشرعية الاسلامية للفصل فى القضايا التى تتصل باحوالهن الشخصية . فادرك مديرا جامعتي سورا وبوم باديثا عظم الخطر الذى يتهدد المجتمع اليهودى والذى قد يؤدى الى انهيار الاسرة اليهودية وتفككها فقررا عام (٧٠٩ م) تغيير تلك الاحكام التلمودية ومجاراة الشريعة الاسلامية ، وهكذا تمت المساواة بين الرجل والمرأة بفضل الشريعة السمحاء والمكانة التى تتمتع بها المرأة المسلمة .

لكن تغيير احكام التلمود لم يقف عند هذا بل زعزع العقيدة فى قدسيته وصحة ما جاء فيه وبخاصة تلك الاحكام التى لا تستند الى نص قوى فى الكتاب المقدس . كذلك تسرب الشك أيضا الى نفوس كثيرين من اليهود فيما تصدره الجامعتان اليهوديتان من تشريعات . وكانت النتيجة المحتومة لهذه الحركة الاصلاحية ان ظهرت فى سوريا جماعة ناهضت التلمود ونادت بعدم الاخذ باحكامه ووجوب التمسك بالعهد القديم فقط . وزعيم هذه الحركة يهودي سورى يدعى (سيرينوس) ، ولم يقف عند هذا بل اعلن نفسه انه المسيح المنتظر ، وكان ذلك حوالى عام ٧٢٠ م فجمع (سيرينوس) اعوانه وكتب على رايته « اتركوا تعاليم التلمود » كما الغى ثانى يومى العطلة ونصوص الصلوات وسائر تعاليم التلمود الخاصة بالطعام وصرح بشرب النبيذ من غير اليهود .

فهذ الموقف من التلمود الذى وقفه (سيرينوس) اكسبه عددا كبيرا من الانصار الا انه كاد يحدث فتنة فقبض عليه المسلمون وقدموه الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فوجه اليه عدة اسئلة عجز عن الاجابة عليها ، ويقال انه انكر امام الخليفة ادعاءه انه المسيح المنتظر وان ما سبق له ان ادعاه كان من قبيل السخرية من اليهود لذلك آثر الخليفة ان يسلمه الى اليهود انفسهم ليتولوا هم معاقبته .

ولم يكد يمضى ثلاثون عاما على هذا الحادث حتى ظهر دعى آخر يدعى (عوبديا ابن عيسى) وهو يهودى من أصفهان هاجم التلمود والغى الطلاق وفروض الصلاة الثلاثة وجعلها اربعة فروض يوميا كما حرم اكل اللحوم وشرب الخمور وقرر نشر وفرض ارآئه بالقوة فهزم هو وانصاره .

ولعل مذهب القرائين هو من اهم المذاهب التى ظهرت فى اليهودية واثرت تاثيرا عظيما ، فالمذهب القرائى هو ولا شك وليد الاسلام والمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا فيما مضى كيف ان التفرقة بين المسلمة واليهودية فى احكام الاحوال الشخصية واضطرار علماء التلمود الى تهذيبه وتنقيحه تمشيا مع روح القرآن الكريم والشريعة السمحاء، ادى الىظهور امثال (سيرينوس) و (عوبديا بن عيسى) اولا ثم عنان ابن داود احد افراد اسرة بستانى ثانيا . فعنان هذا هو المؤسس الحقيقى لفرقة القرائين التى احدث ظهورها انقساما كبيرا فى الطائفة اليهودية لذلك اختلفت الآراء حوله فتلاميذه ومريدوه يعتبرونه بطلا من ابطال اليهود ولو ظهر ابان قيام المعبد لاعتبره القوم نبيا . اما خصومه فقد هجوه هجاء مرا وان اعترفوا له بمقدرته والمامه بالتلمود ، وبذل اعداؤه جهدهم لاسقاطه فى انتخابات رياسة اليهود فدسوا بينه

وبين الخليفة ابى جعفر المنصور فاضطر عنان الى ترك وطنه والرحيل الى فلسطين . ولا شك فى ان عنان اكتسب هذه الفكرة من النزاع الذى كان محتدما بين اهل السنة الذين يؤمنون بالقرآن الكريم والحديث وبين اهل الشيعة الذين لايؤمنون الا بالقرآن فقط ، فعنان بن داود يطالب بالعودة الى المكتوب فقط وهو (مقرا) ومنه اسم جماعته (قراءون) • وقد الف عنان تفسيرا للتوراة فقط ووضع تشريعا للواجبات الدينية وهذه فى مجموعها تخالف لحد ما الديانة اليهودية التلمودية، فالقراءون يخالفون الربانيين فى اشياء كثيرة اهمها اوقات الاعياد والسبت والزواج ثم الطعام . ففيما يتصل بمواقيت الاعياد الغى عنان التقويم الذى كان معمولا به منذ منتصف القرن الرابع الميلادى واكتفى عند الغائه بالاعتماد على العادة التى كانت سائدة فى عصر المعبد الثانى والتنائين (طائفة معلمى الشريعة) كما رجع الى التاريخ بالشهور القمرية كما جرت العادة بذلك قديما • اما عيد (شبعوث) فقد جعله كما كان أيام الصدوقين اى بعد خمسين يوما من السبت الذى يلى عيد الفصح• وفيما يتعلق بالاحتفال بالسبت اهمل عنان كل احكام التلمود بخصوصه وقرر الآتى :

(١) عدم تناول الدواء مهما كانت خطورة حالة المريض • (٢) عدم اختتان • (٣) عدم مغادرة المنزل فى المدينة التى يختلط فيها اليهود بغيرهم (٤) عدم تناول اى شيء ساخن • (٥) عدم اشعال نار او اطفاء مصباح حتى ولو كان ذلك فى يوم سابق للسبت ، كما لا يسمح لآخر باشعال النار او النور• (٦) قرر عنان ان يمضى القراءون السبت فى ظلام •

وقد اصدر عنان هذه التشريعات وغيرها معتمدا فيما يعتقد على بعض الاحكام الواردة فى العهد القديم ، اما فيما يتعلق بالطعام فقد تشدد فيه عنان كثيرا كما حرم الزواج بين الاقارب حتى درجة قربى خاصة ابعد من تلك التى اباحها التلمود . فحرم عنان زواج العم او الخال من ابنة الاخ او الاخت ، كما حرم زواج الاخ او الاخت غير الشقيقين ، وذهب هذا الزعيم القرائى بعيدا فالغى استخدام التفلين (عصائب من الجلد الاسود بها علبتان بداخلهما بعض آيات العهد القديم) عند الصلاة .

والواقع أن عنان بتشريعاته هذه قد اوجد تلمودا جديدا أكثر تعقيدا وصعوبة وقد خالف التوارة فى بعض احكامه فساوى بين الاخ والاخت فى الميراث وحرم على الزوج ان يرث امراته وقد تسمى انصار عنان باسم « عنانيين » أو « قرائين » واطلقوا على خصومهم « ربانيين » اى اولئك الذين يؤمنون بالسلطات ، وهذه ولا شك سبة لهم •

وكانت النتيجة المنتظرة لهذا التصرف من عنان وانصاره ان اجتمع رجال جامعتى سورا وبوم باديثا وطردوا القرائين من اليهودية كما قرر القراءون الانفصال عن الربانيين وحرموا على انفسهم التزاوج او تناول الطعام معهم • وذهب القراءون بعيدا فحرموا على انفسهم دخول بيت يقطن فيه ربانى يوم السبت اذا كان به نور لاعتقادهم أن هذا النور يجرد السبت من قدسيته .

اما الربانيون فقد شنوا حربا عنيفة على القرائين ونادوا بتحقيرهم ولم يسمحوا لهم بالصلاة فى معبدهم • فلم تثن هذه التهم وتلك الاجراءات القرائين عن مهاجمة الربانيين وتحديهم باسمنع السباب والتهم فشبهوا جامعتى سورا وبوم باديثا بامرأتين جاء ذكرهما فى سفر زكريا وهكذا نجد الطائفة اليهودية تنقسم مرة ثالثة الى فريقين متناحرين اولا الى اسرائيل ويهوذا وثانيا ابان المعبد الثانى الى فريسيين وصدوقيين وثالثا الى ربانيين وقرائين .

ولما كان قيام المذاهب الدينية المختلفة ، والتى تعتمد على كتاب مقدس يتطلب قبل كل شيء العناية بنص الكتاب وفهمه ، فقد أوجدت الاشارات الدالة على الحروف ، ومن ثم الف القراءون الكتب فى القواعد . وظل علماء هذه الطائفة زهاء قرن يهتمون بقواعد اللغة العبرية ونحوها بينما انصرف الربانيون عنها الى التلمود ، لكن الشيء الذى يؤسف له ان هذه العناية اللغوية جاءت متأخرة وما كان لها ان تسبق هذا الدفع العلمى الاسلامى خصوصا أنها ثمرة من ثمراته • واذا اضفنا الى هذا الحروب والاضطرابات التى تعرضت لها فلسطين وغيرها من مناطق الشرق العربى فاثرت فى نص الكتاب المقدس تاثيرا عظيما اذ مزقت الكتب المقدسة وانتهكت حرمتها وجعلتها طعما رخيصا للنيران ، وظل الحال كذلك فترة طويلة من الزمن حتى استقرت الاحوال السياسية فانصرف بعض العلماء الى جمع ما تبقى من نصوص العهد القديم

واخيرا استطاعوا نسخ نسخة لانستطيع الجزم بمطابقتها للنسخة الاصلية وان كانت اقرب اليها من غيرها • فالنسخة الاصلية الرسمية ، التى كانت محفوظة في المعبد نقلت الى روما ، وحفظت ضمن الاسلاب التى جاء بها (تيتوس) . والذى حدث انه ابان الحروب التى اندلعت بين روما واعدائها سرقت هذه النسخة ثانية واختفت • واذا اضفنا الى ذلك ان النسخة التى نسخت من بقايا بعض النسخ لم تسلم من اخطاء النساخ ادركنا مدى النقص الموجود فى نسخة العهد القديم وبخاصة ان عناية ما لم توجه اليه لانصراف رؤساء الدين اليهودى فى العراق وفلسطين الى التلمود .

لكن حدثا هاما ظهر فى ذلك العصر ، هو تثقيف الشباب اليهودى ثقافة عربية اسلامية استطاع المثقفون اليهود بفضلها الارتقاء باليهودية فى العصور الوسطى •• عصور الجهالة والظلام • فالاساتذة العرب هذبوهم ، وخلقوا منهم اساتذة يجلس بين ايديهم طلاب العلم فى مختلف العقائد والمذاهب • ففى عهد خلافة هرون الرشيد وابنه المامون كانت الحياة العلمية العربية قد بلغت شأوا عظيما وازدهرت معاهد العلم فى بغداد والقاهرة والقيروان فى شمال افريقية ، ومرو فى بلاد التركمان • وقد اصبحت جميعها مراكز الاشعاع العلمى لا فى العالم الاسلامى فقط ، بل فى مختلف انحاء العالم ، ولم تبلغ أوربا هذه المكانة الا بعد عدة قرون وبفضل اتصالها بالعالم الاسلامى •

لقد تعرضت اوربا قديما وبخاصة البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط لأحداث كثيرة فهناك هجرة الجرمان الذين وفدوا من الشمال وانقضوا على الامبراطورية الرومانية فدحروها هل نجحوا فى بعث ثقافة جديدة او خلق حضارة رفيعة ؟ هل استطاعوا التبشير بدين جديد ينهض بالبشرية من كبوة الوثنية البدائية التى كانت اوربا وقتذاك مترديه فيها ؟ ثم تعرضت أوربا لأحداث أخرى لم تنقل المرأة من مستواها كمتاع للرجل يباع ويشترى فضلا عن وأد الاطفال فى غاباتها •

ان الدولة العربية العالمية الجديدة فرضت نفسها للمرة الاولى كشرق وواجهت الغرب وردته مهزوما مدحورا منطويا على نفسه كسيرا ذليلا ، ومن ثم مزق العرب هذا الستار المضروب على اوربا منذ آلاف السنين ولم يستطع الجرمان تمزيقه وادخلوا اليها العلم والنور ولولا (تور) لما تخلفت عن اللحاق بركب الحضارة العربية هذه القرون الطويلة .

وبديهى ان الأمة التى يقول نبيها صلوات الله عليه « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، ولمداد ما جرت به اقلام العلماء خير من دماء فى سبيل الله » لن توصد أبواب العلم فى وجه قاصديه مهما اختلفت الأجناس والملل والنحل ، لذلك لن يستولى علينا العجب اذا خرجنا عددا من مشاهير اليهود امثال (ما شاء الله) الفلكى و (سهل الطبرى) الطبيب الرياضى الذى اشتهر بترجمة الماجسطى لبطلميوس شهرة ابن سهل بالصيدلة .

واخذ اليهود عن العرب علاوة على الصيدلة والفلك والرياضيات (علم الكلام) فنحن نجد فرقة المعتزلة تنادى بفكرة الله الذى له صفات هى عينه ، كما قالت بحرية الفرد ، وذلك لأن العدالة الالهية تقتضى أن يثاب الاخيار ويعاقب الاشرار ، وهذا يتطلب وجود حرية ارادة الفرد • كذلك فسرت هذه الفرقة القرآن الكريم تفسيرا رمزيا لذلك نعتهم خصومهم بالاعتزال • وكانت مدرستا بغداد والبصرة تأخذان بتعاليمهم وآمن بها الخليفة المامون واتخذها مذهبا للقصر .

وقد اثرت فلسفة المعتزلة فى اليهودية فوسعت شقة الخلاف بين القرائين والربانيين وبعثت فى الفكر اليهودى الحياة . فنجد القرائين يذهبون مذهب المعتزلة فى اليهودية ويسيرون فى ركابهم بخلاف الربانيين الذين تمسكوا بالتلمود بالرغم مما فيه من عبارات متناقضة حول الذات العلية .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد القرائين ينادون **بالاجتهاد وفتح بابه** أمام المجتهدين فظهرت بينهم فرق اخرى . والذى حدث ان اليهودى القراء « بنيامين بن موسى » نهاوندى الفارسى (حوالى ٨٠٠ — ٨٢٠ م) ادخل تعاليم المعتزلة على مذهب القرائين فارتفعت مكانة هذا القراء المجتهد بين ابناء عقيدته فبلغ مرتبة تدانى مرتبة عنان . فقد اعترض بنيامين على تصوير العهد القديم لله ، كما اعترض على الوحى الاسرائيلى وخالق الكون وانكر خلق الروح للمادة واتصالها بها . فكيف يتجلى الله فى سيناء فيتحدد مكانه جغرافيا ، ومن لم يتكلم كما يتكلم الانسان . لذلك حاول بنيامين تبرير خلق الكون وصحة التوراة ، فقال ان الله خالق الملائكة وهم أرواح وهذه الأرواح

هى التى خلقت العالم والكون . فالله لم يخلق الكون مباشرة بل بواسطة الملائكة . كذلك الحال مع الوحى الذى جاء الى سيناء والى سائر الانبياء انما جاء عن طريق الملائكة . وقد آمن براى نهاوند عدد كبير من المريدين الذين انتسبوا اليه .

وكان بنيامين ينادى بالراى القائل بانه ليس على الفرد أن يؤمن بكل ما يقوله رجل الدين بل عليه ان يفكر ويقتنع والا فله الحق فى مخالفته ، ليس على الابن ان يطيع والده دائما ولا المريد استاذه ، البحث واجب والخطا فى البحث ليس خطيئة ،

وخرج من بين القرائين مفكرون آخرون اسسوا فرقا لعبت دورا خطيرا فى تاريخ العقائد اليهودية من بينها طائفة الأكبرية ، وقد اسسها موسى واسماعيل وهما من مدينة (آكبر) بالقرب من بغداد ، وكان ذلك حوالى عام ٨٤٠ م ومذهب هذه الطائفة قريب جدا الى مذهب السامريين الذين لا يؤمنون الا باسفار موسى الخمسة فقط وينكرون باقى أسفار العهد القديم والتلمود . وقد نادت طائفة الاكبرية باباحة اكل بعض الاجزاء السمينة من الحيوان .

ثم نجد طائفة التفيليين وقد أسسها أبو عمرو موسى من (صفران) بفارس وافرادها يحرمون الزواج بين ابناء الأخوة والأخوات وهم يعيدون فى اوقات تخالف أوقات القرائين الآخرين والربانيين ، وهناك طائفة اخرى تعرف باسم الطائفة البعلبكية نسبة الى مؤسسها ويعتقد افرادها ان عيد الفصح يجب ان يقع فى يوم خميس والغفران يوم سبت لأن هذا اليوم يعتبر فى الكتاب المقدس وكانه سبتان .

فهذه الخلافات وغيرها بين القرائين والربانيين لفتت نظر علماء المسلمين وقربت بين وجهات نظر القرائين والمسلمين وبخاصة بعد ان رفض القراءون العمل بالتقويم الربانى وقرروا العودة الى التقويم القمرى الذى يتفق والتقويم الاسلامى .

وقد وقعت ايام الملك الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥ م) خصومات بين الربانيين والقرائين فى مصر وذلك لان المشرف اليهودى على الاسواق كان من طائفة الربانيين ومذهبهم فيما يتعلق باللحم والطهارة يغاير مذهب القرائين الذين كانوا يحرمون ذبح الحيوان الحامل بخلاف الربانيين ، كما يحرم القراءون اكل اجزاء خاصة من الحيوان يجيزها الربانيون . لذلك نجد القرائين يطلبون السماح لهم بفتح حانوت قصاب فى السوق لشراء ما يحتاجون اليه من لحوم وطيور كما ان الحانوت يجب الا يخضع لتفتيش المحتسب الربانى كما طالب القراءون بجواز فتح محالهم ابان اعياد الربانيين اذ ان لكل طائفة تقويمها الخاص بها ، وهكذا كثرت الخلافات بين الطائفتين مما اضطر الخليفة الظاهر الى اصدار امر فى ١١ جمادى الاولى ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م يرمى الى اجابة القرائين الى مطالبهم واحلال السلام محل الخصام . ومن حسن الحظ ان هذا الامر جاءنا فى وثيقة من وثائق الجنيزا (المحفوظات) وفى حالة تكاد تكون جيدة لولا ضياع مطلعه ، ونصه كما يلى :

« من تتبع عاداتكم واستمراركم فى تقاليدكم التى اخذتموها عن دياناتكم بدون عائق يقوم من طائفة ضد الاخرى او قيام معاملة خشنة بينكما، فهذا يدعو الى السماح لكل طائفة ان تعيش وتعيد كما تهوى مع تمكين كل طائفة فى بيع او شراء ما تشتهى ، وان تحتفل بعيدها كما تريد ، ومتى ترغب بكامل حريتها ومطلق ارادتها وأحذر الطائفتين من التدخل فى شئون بعضهما أو احداث شغب او مضايقة بعضهما . ان الامان مكفول لكم جميعا وعليكم عدم تمكين شرير من بينكم من الاتيان بشىء ممنوع وعليكم تجنب المناقشات التى تؤدى الى سوء العاقبة ، وعليكم المحافظة على ذلك والعقوبة ستحل بكل فرد يتجاوز حدوده ويأتى بأعمال محرمة فمثل هذا الشخص سيعاقب عقوبة شديدة وسيكون مثالا لغيره حتى لايحتذيه احد ، كذلك يحرم التدخل فى شئون طائفة القرائين فى معابدهم الخاصة بهم وحدهم .

وهذا الأمر صادر من امير المؤمنين فعليكم العمل على تنفيذه واحترامه ، وعلى امير الجيوش، ساعده الله . ان يساعد على تنفيذه ، وعلى رؤساء الاقاليم العناية العادلة بالطائفتين وعلى الحكام اصدار الاوامر الخاصة بوجوب العناية والمحافظة على افراد الطائفتين والعمل على عدم اضطهادهم .

ليحترم هذا الامر بواسطة الذين كتب لهم ان شاء الله .

حرر فى يوم الاربعاء ١١ جمادى الأولى عام ٤١٥ هـ .

فمن امر امير المؤمنين نتبين اجابته لمطالب القرائين وحرصه على اشاعة العدالة بين جميع رعاياه

« د . فؤاد حسنين على »

دراسة وجودية فى ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

المنهج النقدى التراجعى

(٤)

من الممكن أن تكون المقالات الثلاث السابقة قد اعطت صورة عن الرجل فلوبير وعن المؤلف فلوبير ، وعن الصورة التى رآها بها النقاد فى عصره وفى العصور التالية .

وليس من الضرورى أن تكون هذه الصورة كافية فى الدلالة على هذا الأديب . فهى لا تزيد عن كونها وجهات نظر سريعة وغير مترابطة الى حد ما .

ولعل عدم الترابط هو الذى يعنينى هنا . لأن للنقاط جوانب مختلفة من صورة انسان واحد من الممكن ألا يؤدى ذلك الى خلق صورة كاملة فى النهاية . فى أكثر جوانب أى انسان . الجوانب التى نراها منه هو شخصيا ، أى جوانب سلوكه ، وجوانب أعماله . والذى نعرفه منه والذى نعرفه عنه والذى يخفيه عنا والأثر الذى يتركه فينا والأثر الذى يحرص على أن يتركه ..

والفيلسوف الوجودى **سارتر** قد تناول عددا من الأدباء بالنقد الأدبى . فمثلا درس الشاعر بودلير . واتخذه نموذجا للشخصية الوجودية . وطبق عليه منهجه الوجودى فى دراسة الشاعر والشعر والتاريخ الأدبى . ولكن سارتر رغم هذه الدراسة ، فانها كانت موجزة .

ولكن أعظم دراسة قام بها سارتر ، وربما قام بها فيلسوف اطلاقا ، هى كتابه عن الأدب الفرنسى جان جينيه بعنوان : «القديس جينيه كوميدى وشهيد» . وسارتر فى هذه الدراسة ، التى جاءت تعد بمثابة مقدمة لكل مؤلفات جينيه ، هى أكمل وأرق دراسة لأديب حى .

وفى هذه الدراسة الرائعة طبق سارتر الفلسفة الوجودية ومنهج الظاهريات (الفنمنولوجيا) على الأديب جينيه الذى هو لص ولقيط وشاذ جنسيا . وقد استطاع سارتر أن يلتقط كل صغيرة وكبيرة ، كل صغيرة جدا وكل فضيحة ، فى حياة هذا الأديب وان يصفها فى ٧٠٠ صفحة هى أروع ما ظهر من النقد الأدبى فى كل العصور .

وسارتر يبدأ عادة من نقطة تبدو بسيطة أول الأمر . فهو يتساءل أولا عن الاختيار الأساسى للاديب .. أو بعبارة أخرى يتساءل كيف يختار الأديب وجوده . أى كيف يختار نفسه . فكل انسان هو الذى يختار نفسه .. يختار سلوكه الاجتماعى والنفسى والفنى . وكل شىء يفعله هذا الأديب دليل عليه أو دليل ضده . ولذلك فالناقد يجب الا يترك شيئا فى حياة الأديب أو الفنان دون أن يحاسبه عليه أو دون أن يلتفت اليه .

فالانسان ـ عموما ـ هو الذى يختار نفسه ...

والانسان ـ عموما ـ هو الذى يجعل من حياته « خطة » ويظل يدرسها ويفكر فيها وينقدها . ويخطىء فى التفنيد . ويصلح الخطأ أو يصر عليه . فالانسان هو الذى يختار صورته التى يبدو بها أمام الناس . سواء كانت حسنة أو قبيحة . وهو يختار المجالات التى يرتادها . وكل هذا يدل على هذا الانسان . ولا توجد عندنا طريقة اخرى لمعرفة انسان حى أو ميت الا بمعرفة اختياره الأساسى ، اختياره الاولى للواقع الوجودى الذى يكون عليه ..

وليست شخصية أى انسان ـ عموما ـ الا تبلورا

مستمرا لواقع النفس • لموقفه الوجودى من نفسه ومن العالم حوله ••

وهذا يجب أن يكون دليلنا البسيط جدا فى دراسة اى أديب •• فلوبير مثلا ••

هذا الرجل فلوبير يجب أن نناقش رجولته هذه رغم الاكاذيب التى أفاض فى الكلام عنها فى رسائله. يجب أن نناقش لماذا يحرص على ذكر ما فعله مع عشيقاته ولماذا يبعث بذلك الى عشيقته لويز كوليه• يجب أن نناقش المرات القليلة التى التقى بهذه المعشوقة • لماذا زعم أنه كان شابا ؟ يجب أن نناقش مع رسائله الملتهبة التى يغلب عليها طابع المراهق الهارب •• أو المراهق الذى تسعده أحلامه أكثر من الواقع •

يجب أن نناقش طفولة هذا الأديب وان نعرف من هى أمه •• ومن هو أبوه •• واقاربه وظروف أسرته وعصره والأمراض التى انتشرت فى هذه الأسرة • وكيف تركت أثرها فى نفسه • يجب أن نعرف البيت والبيئة التى عاشها ، يجب الا نترك صغيرة فى حياته • يجب أن نتساءل لماذا كان يحرص على أن يتناول طعامه بملابسه كاملة • لماذا يكتب بملابسه كاملة • لماذا لا يستطيع أن يجلس الى أصدقائه بملابس النوم العادية •

يجب أن نناقش خطابات عشيقته التى تصفه بأنه انسان مجنون نفسه •

يجب أن نلتفت كثيرا جدا الى اختياره لقصة « مدام بوفارى » ولماذا اختار امرأة ليقف وراءها • امرأة من نوع غريب وصفها الشاعر بودلير بأنها : ليس الا رجلا عنيدا ••

نحن ما نزال نناقش الاختيار الأول لوجوده •• حتى موقف الأديب من أبويه هو جزء من شخصيته أيضا • فهو الذى اختار العلاقة التى تربطه بهما • وهو الذى اختار التأثر بهما أو التأثير منهما • وهو الذى اختار أن يعيش على ثروة أبيه بلا عمل• وهو الذى اختار الاقامة فى المستشفى • وهو الذى اختار أن يبقى لصيقا بالمستشفى وبالطب والتشريح وأسلوب الأطباء ، وبأصدقاء من ابناء الاطباء أيضا..

واذا نحن رجعنا الى تاريخ حياة فلوبير من أولها لآخرها نجده انسانا مطيعا • وفى نفس الوقت ليس له وجود مستقل • بل انه وجود نسبى • فهو يعتمد على غيره فى كل شىء • انه يبعث بعشيقته للسؤال عن عشيقاته • وهو فى نفس الوقت يعتمد على ثروة أبيه وعلى أبيه ولم يقم بأى عمل فى حياته• وأنوثته تؤكد هذا الموقف غير الاستقلالى وغير الرجولى فى حياته • وعندما أفلس فى آخر حياته أحس لأول مرة أنه قد واجه نفسه • وأنه لأول مرة فى حياته مضطر الى أن يعتمد على نفسه ، مضطر الى أن يقف على ساقيه • لقد باع الأرض وأهدى البيت لاحدى قريباته • ولم يعد له به شىء • وأخذ يشكو من الأرض لم تعد تدر عليه شيئا ، ولو كان لديه مصنع لربح أكثر •• ربما كانت هذه الشكوى هى بداية الشعور بضغط العصر الصناعى على أبناء الريف والاقطاعيين الصغار •

واذا نحن عدنا الى قصة « **مدام بوفارى** » يجب أن ندرس العبارات التى يستخدمها والألفاظ التى يكثر منها رغم حرصه الشديد على عدم التكرار • ويجب أن ندرس أسلوبه فى تصوير الشخصيات وفى علاقاتها بعضها ببعض •

ويجب أن ندرس أيضا قصة « اغراء القديس **انطون** » وكيف استخدمه فلوبير لمناقشة مصير الانسان والحياة والموت والله **والعدم** • وهذه القصة هى بالضبط قصة مدام بوفارى بشكل آخر ومعنى ذلك أن هذه المعانى تلح على رأس المؤلف وأنه اختار التعبير عنها مرتين • مرة فى صورة رجل راهب ، ومرة فى صورة امرأة فيها رجولية • أى بصورة واحدة لرجل واحد •• مرة يكون اسمه القديس أنطون ، ومرة يكون اسمه مدام بوفارى •

ومعنى ذلك أيضا أن فلوبير قد اختار هذا الاطار، واختار هذه المعانى ، وانه هو أيضا هذا الاطار وهذه المعانى • ويجب أن نسأل لماذا ؟ يعبر عن نفسه على شكل راهب رجل ، ومرة على شكل فاجرة فيها رجولية ؟

وفى نفس الوقت يجب أن نعود الى عصره الى حياته فى ذلك العصر • وكيف كان يراه معاصروه • ماذا قالوا عنه • وماذا قال عنهم • من هم أصدقاؤه ولماذا اختارهم • ولكى نعرف لماذا اختارهم ، يجب أن نعرفهم هم أيضا باعتبارها « فعلا » من أفعاله•• أى صورة من الصور التى يعلقها على حياته• والانسان عندما يختار أصدقاءه ، يختار علاقات مريحة له •• أى أنه يختار نفسه فى أصدقائه •

وبعد هذه التحليلات الطويلة فى حياة فلوبير أو اى أديب آخر ـ ننتقل الى مرحلة تركيب هذه التحليلات • وبلورة عامة له • أى أننا ننتقل الى

« تشبيبى » هذه المعانى والحوادث والعلاقات . أى تحويلها الى شىء يمكن رؤيته ولمسه .. كتمثال على أرض واضحة .

ولكن هذا وحده ليس حلا سعيدا ولا نهاية الدراسة لهذا الرجل . وانما هو بداية مشاكل جديدة لنا . فكل نتيجة وصلت اليها يجب أن تعود بها الى طفولته والى حياته الاجتماعية وظروفه الاقتصادية . فاذا عدنا الى ماضيه البعيد انتقلت الى حاضره والى أيامه الأخيرة .. ومن الممكن أن يستعيد بما أحدثه من أثر بعد مماته لفهم ظروفه . باعتبار هذا الأثر ظلا له ألقاه على السنوات التى بعده ..

وبعبارة أخرى : يجب أن نتراجع الى طفولته ، وأن نتقدم الى رجولته ..

يجب أن نخلق حركة فى حياته . يجب أن نهز حياته ونثير فيها حركة تتراجع الى طفولته وأسرته وبيئته وظروفه الاجتماعية والاقتصادية ، وأن نتقدم بها مرة أخرى الى رجولته والى حياته الأدبية وعلاقاته الانسانية والى أسرار حياته ..

هذا المنهج يسميه سارتر : **المنهج التراجعى التقدمى** ..

ونحن بهذا المنهج نتخذ من كل شىء فى حياة الأديب خيطا هاديا لنا .. يوجهنا ، ويوجه الحركة الداخلية لهذا الفنان . كل هذا فى داخل الفنان نفسه ، وفى داخل بيئته .

فنحن نأخذ من حياته أدلة على ظروفه الاجتماعية، ونأخذ من ظروفه الاجتماعية أدلة على حياته. ونربط بين الاثنين ربطا عضويا حيا . فلا أحد منفصل عن ظروفه . حتى لو اختار ذلك . فهو لا يستطيع . ولكنه يجعلنا نتساءل :

ولماذا ؟! ما هو المرض الذى أصابه ؟

ان فلوبير قد اختار أن ينعزل ..

وساعدته ظروفه المادية من ناحية ، وارغمته على ذلك ظروفه النفسية والجسمية .. فهو ثرى ، معتمد على ما يملك ، وهو فى نفس الوقت حساس وخجول ويخشى أن تباغته نوبة الصرع وهو فى الطريق .. وهو فى نفس الوقت أنثوى فى تركيبه .. وهو قادر على أن يعتزل العالم وأن يتفرغ للقراءة الطويلة والكتابة على مهل ..

ولذلك لم يستطع فلوبير أن يشارك فى قضايا العصر . ولا أن يكون له رأى فى التطور الاجتماعى والاقتصادى فى عصره . هذا الموقف يجب أن يكون البداية فى دراسة فلوبير وأى أديب آخر ..

ومهما كانت صورة مدام بوفارى رائعة ، ومهما كانت مثيرة ، ومهما كانت تصرفاتها منطقية ومهما حرص المؤلف على أن يقول على لسانها أى كلام أو يجعلها تقول على لسانه أى كلام ، فان هذا لن يشغلنا عن التساؤل : من هذه السيدة ؟ أى مخلوق هى ؟ أى مجتمع تعيش فيه ؟ ما صفاته ؟ ما مشاكله؟ أين يوجد كل هؤلاء الناس الذين ارتبطت بهم ؟ ولماذا هم جميعا منحلون هكذا ؟ ولماذا اختار المؤلف كل هذه النماذج ؟ لماذا حكم على نفسهم بهم ؟ ما الذى يريد أن يقوله بهذا الحكم ؟ ما الذى يريد أن يمعن فى أخطائه ؟

ان كل مؤلف يختار نفسه من كل ما يفعله ..

وعلينا أن نعرف معنى اختياره وحرصه عليه ، واسباب هذا الاختيار . انه حر فى أن يفعل مايشاء ولكن لايمكن أن يكون حرا تماما بالنسبة لمقاييس الأدب . وما دام قد ارتضاها . فقد اختارها وفى نفس الوقت استسلم لها . وهو حر فى أن يختار من الناس مايعجبه . ولكنه ليس حرا فى ألا يكون حرا .. أى أن الانسان حر رغم أنفه . لايستطيع أن يتحرر من حريته .. وهذا الأديب حر تماما ولأنه حر فهو مسئول عن كل مايختار . ومسئول ايضا أمام ضميره . وضميره ليس الا صوتا للخير .. لخير الناس . ولا يمكن أن يكون الأديب ضارا ولا خائنا. فاذا أصر على أن يكون ضارا سألناه ، واذا اختار الخيانة ، فقد اختار فى نفس الوقت حكمنا عليه .. وحكم الاجيال القادمة .

وليس هذا تطبيقا لمنهج سارتر « **التقدمى التراجعى** » ولكنه اشار اليه . وليس هذا عرضا لأدب فلوبير أو لقصته الرائعة ، وانما « مناسبة » فقط لعرض وجهات نظر الى أديب والى عمل من أعماله . ولعلى أعود الى مناقشة المنهج الوجودى فى النقد الأدبى قريبا ..

وقبل أن أنهى مقالى أشير الى سارتر قد وعد من قبل بأن يؤلف دراسة كاملة عن « جوستاف فلوبير » : باعتباره نموذجا للرجل الذى احتقره من كل أديب ! فقد أدار ظهره لعصره وكتب عن عالم حكم فيه بالاعدام على معنى المسئولية والالتزام . وتمسك فيه بحرية زائفة . لأنه لاحرية بغير مسئولية . وقد اختار هو الحرية ، وجاء دورنا لنقول له : لماذا ؟ والجواب هو : انه لم يجد عنده الرجولة الكافية ليكون مسئولا !

« **أنيس منصور** »

هتاف الشعر الحديث
بوحدة الدم العربي

للدكتور : أحمد محمد الحوفي

طالما هتف الشعراء بوحدة العرب فى العنصر ، واقاموا الدعوة الى التعاطف والتآلف والاتحاد على صلات ، منها القرابة الدموية والاشتراك فى النسب .

وطالما خايل الشعراء بنسب العرب العريق ، وبمجد آبائهم الأولين ، لا فرق فى ذلك بين شعب وشعب ، ولا بين اقليم واقليم .

وانه ليسترعى النظر أننا لا نجد شاعرا واحدا انفرد بدعوة معارضة ، أو تنصل من هذا النسب المجيد .

فقد صور الشاعر المصرى **حافظ ابراهيم** ما بين مصر والشام من روابط بأنهما شقيقتان متساويتان فى العلا والمجد ، وفى توطيد صرح العروبة ـ التى عبر عنها بالشرق على طريقة الشعراء حينئذ ـ وفى الحفاظ على اللغة العربية التي هي أم لهما ، والاعتزاز بتراث العرب الذين ينتسب اليهم المصريون والشاميون ، واستبعد أن يرنق ما بينهم من حب عارض من العوارض ، لأن ما بينهم من صلات الحب أقوى من أى عارض ، وحسبهم أنهم أشقاء ، أمهم اللغة العربية وأبوهم يعرب ، ولهذا يشتركون فى الأسى الذى يصيب أحد البلدين اشتراكا قلبيا حقيقيا . وأراد حافظ أن يصور عمق هذه المشاركة فى النفوس ، فقال ان القاطنين فى أعالى لبنان ينتحبون اذا تألم اخوتهم المصريون ،وتخيل الجمادات نفسها تتبادل الآلام ، فجبال الشام تضطرب اشفاقا على مصر اذا نزلت محنة بمصر .

قال فى حفل تكريم السوريين له سنة ١٩٠٨ م

لمصر أم لربوع الشام تنتسب
هنا العلا وهناك المجد والحسب ؟
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما
ولا تحول عن مغناهما الأدب
أم اللغات غداة الفخر امهما
وان سألت عن الآباء فالعرب
ايرغبان عن الحسنى وبينهما
فى رائعات المعالى ذلك النسب ؟
ولا يمتان بالقربى وبينهما
تلك القرابة لم يقطع لها سبب
اذا ألمت بوادى النيل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم
أجابه فى ذرا لبنان منتحب

***

وتفجع الشاعر المصرى **احمد محرم** على العرب القتلى فى فلسطين ، معبرا عن حزن العرب جميعا على اخوتهم الذين تربطهم بهم صلات القربى من جهة الأب او من جهة الأم ، وكان بارعا فى تصوير عظم فجيعته بأنه فقد أعزاء عليه ، بعضهم بمثابة الابن البار ، وآخرون بمثابة أبناء العم :

كم صريع لك فى أحشائه
مصرع القربى وأشلاء الرحم
فجعونى فيه بابن صالح
وأخ حر السجايا وابن عم

ونوه الشاعر المصرى **علي الجارم** بالقرابة الدموية ووحدة التاريخ والوطن ، وهى وشائج من صنع الله تعالى مركوزة فى النفوس ، لن يستطيع الاستعمار أن يقطعها ، ولن يرتضى العرب التهاون فيها :

بنى العروبة ان الله يجمعنا
فلا يفرقنا فى الأرض انسان
لنا بها وطن حر نلوذ به
اذا تناءت مسافات وأوطان
أواصر الدم والتاريخ تجمعنا
وكلنا فى رحاب الشرق أوطان

وذكر قرابة الدم فى تحيته لبغداد ، وربطها بوشائج أخرى من الحضارة والثقافة المشتركة ، وأضفى مظاهر الود الأخوى المتبادل على الأنهار وعلى الآثار ، دلالة على قدمه وعراقته واتساع مظاهره وعمق تأثيره فى النفوس ، فقال :

بغداد يا بلد الرشيد
ومنارة المجد التليد
يا سطر مجد للعرو
بة خط فى لوح الوجود
اهلوك اهلونا وأبنا
ء العشيرة والجدود
شطت منازلنا وما أحـ
ـتاج الفؤاد الى بريد
الرافدان تمازجا
فى الحب بالنيل السعيد
وتعانق الظلان ظل
الطاق والهرم المشيد

ونوه بوحدة الجنس واعتز بحماية العرب لمجد آبائهم وبحرصهم على أنسابهم فى قوله :

اذا البيد لم تنبت نباتا فحسبها
فقد انبتت فينا كريم الشمائل
ألسنا الكرام الغر من آل يعرب
لدى الروع أو عند التفاف المحافل ؟
حمينا بحمد الله أنساب قومنا
وصنا على الايام مجد الأوائل
وما خلقت الا لعزم نفوسنا
كأنا خلقنا من غبار الجحافل

وارجع ما بين مصر والعراق من حب الى عدة بواعث منها وحدة النسب فى قوله :

لنا فى صميم المجد خير أبوة
زهينا بها أصلا وتاهت بنا ولدا

واحزنته نكبة فلسطين حزنا اسال دمعه وهز قلبه ، ورأى العدوان عليها خطيرا كالعدوان على الأندلس ، ونادى بأن فلسطين بلد عربى عريق العروبة ، ورثه العرب عن آبائهم ، وتحسر على عهد صلاح الدين ، ثم أنذر اليهود بالثأر القريب ، لأن العرب لن يطيقوا صبرا على انتهاب تراثهم :

قلبى وفيض دموعى كلما خطرت
ذكرى فلسطين خفاق وهتان
لقد أعاد بها التاريخ اندلسا
اخرى وطاف بها للشر طوفان
ميراثنا فى فتى حطين أين مضى
وهل نهايتنا يتم وحرمان ؟
ردوا تراث أبينا ما لكم صلة
به ، ولا لكم فى أمرنا شان
مصيبة برم الصبر الجميل بها
وعز فيها على السلوان سلوان

***

وقد نوه الشاعر المصرى **محمد عبد الغنى حسن** فى رثائه لاسعاف النشاشيبى ـ الأديب الراوية الكبير ـ بجهاده فى احياء التراث العربى ، والدفاع عن آبائه العرب ، وحرصه على اللغة واعتزازه بالأدب، ثم نوه باعتزازه بقوميته العربية فى قوله :

لغة الضاد روعت فيك لما
فقدت فيك واحد الأدباء
كانت العرب كلها لك قوما
تنتمى عندها أعز انتماء
لم تكاثر الا بهم أو تفاخر
لم تكاثر فى مجلس بثراء

ولما قدم الى مصر وفد من لبنان سنة ١٩٤٤ حياهم الشاعر نفسه ، وذكرهم بالنسب الموحد الذى يجمع بين العرب ، ودعا الى الوحـــدة دعوة صريحة فى قوله :

قل للعروبة قد ظفـرت بعروة
موصـــولة وبموثق متأكد
جمعت على الحب القديم قلوبهـــا
وتألفته بحبها المتجدد
قل للأماجد من سلالة يعرب
من لم يمجد نفســه لا يمجـد
أو مالكم بين الممالك أسـوة
للمؤتســـين وقدوة للمقتدى ؟
يا شعب لبنان الأشـم تحية
تهدى لوافدك الكريم الموفـد
لما نزلت بمصر أكرم منزل
قد صـافحتك قلوبنا قبل اليد
يا شرق قد دار الزمان ولم يعـد
للمرء فخر فى فخـــار المولد
فانهض كما نهض الرجال فلم يعد
للحى فخر فى جـلال المرقد
واجعل جهودك وحدة مرهـوبة
فالمجد فى مجهـــودك المتوحـد

وذكر فى قصيدة أخرى وحـــدة الدم فى روابط الأمة العربية ، فقال سنة ١٩٤٣ م :

هم أمة لغة القرآن تربطها
والمجد يجمعها والأصل والحسب
فهم غطارفة صـــيد اذا افتخروا
وهم غساسنة بيض اذا انتسبوا
وهم اذا ما رضـــوا كانوا مناذرة
وهاشميون أحرار اذا غضــبوا
هى العروبة قربى بيننـــا وكفى
أنا الى العرب الأحرار ننتســب

وفى تحية الشاعر المصرى **على الجندى** لدمشق شوق الى أهلها ، وفرحة بلقائهم ، وشعور بأنهم أبناء عمه الأقربون ، وعشيرته التى يباهى بهـــا ، ويحتفل بمجدها ومآثرها ، وقد أراد أن ينوه بما بين الشعبين من حب عميق أصيل متبادل ، فصـــوره فى عناق ريحان دمشق لزنبق القاهرة :

دمشق جنة عدن قد فتنت بهـــا
سمعا ، وشاقتنى الأسحار والأصل
حملت من روضـــة المقياس زنبقة
لها ، فعانقها ريحانهـــا الخضـــل
لى من أمية فيها فتية طبعـــوا
على الندى،وعلى صدق الهوى جبلوا
أبناء عمى دنيا حين تنسبهم
وعترتى بهم أزهى وأحتفـــل
قد كان لى أمل أنى أشـــاهدهم
شـــكرا لربى أن قد حقق الأمل

ويقول فى قصيدة أخرى انه هزار يغرد فى سماء مصر ، ويحتسى من نيلها ، ويطوف فى ربوعهـــا ، ولكنه لا يلبث أن ينفى هذه الفكرة ، ويؤكد صادقا انه عربى ، عشيرته العرب من نسل يعرب ونزار :

وأنا الهزار ســـماء مصر مسرحى
والنيل وردى والكنـــانة دارى
لا ، بل أقول ـ وما كذبت ـ عشـ
ـيرتى أبنـــاء يعرب كلهم ونزار

ولما نكل جنود فرنسا بلبنان بعد الحرب العالمية الثانية ، تفجع على اخوته العرب هنـــاك وغضب لما اصابهم ، معبرا عن شعور المصريين نحو أشـــقائهم المجاهدين الصناديد ، لأنهم من أر واحد :

انا غضـــبنا للبنان وســـاكنه
والأرز شـــاطره أحـــزانه النيل
كلا الشقيقين ـ صان الله حوزته ـ
آباؤه العـــرب الغر البهـــاليل

وردد الاخوة والقرابة فى مناجاته للجزائر بقوله :

فى حمى أوراس اخوان لنــا غر وضاء
كل فرد منهم رمح وســـيف ولـــواء
موقع الجمر عـــلى اكبـــادهم زهر وماء
وهزيم المدفع الجبـــار تراجيع غنـــاء
يا بنى الأعمام والأخوال اصغوا للنداء

انتم للوطن المسلوب سلوى وعزاء
انتم للمغرب المكدود روح وهناء
انتم للعرب العرباء حمد وثناء
لا تراعوا فجمال هو فى الجلى الرجاء
ليس ينساكم على البعد،وهل ينسى الاخاء؟

ونادى الشاعر المصرى **العوضى الوكيل** عرب فلسطين بانهم اخوتنا بنو أبينا ، وبان العرب لن يتخلوا عن مناصرة اخوتهم ، ولن يرتضوا مذلة تنزل بهم ، وانذر العرب انهم ان تهاونوا فى نجدة اخوتهم بفلسطين ، اهاب بهم الدم العربى والاصل المشترك والحسب التليد :

بنى أبينا حملناها مقاسمة
وسوف تنشق عن فجر ليالينا
راموا بنا الهون والاذلال ويحهم
لا تقبل العرب اذلالا ولا هونا
لئن مضينا فلم تسمع لهاتفها
مضت دماء وأعراق تنادينا

وتلقى الشاعر المصرى **محمد التهامى** نبأ الثورة اليمنية بالابتهاج ، وآزر الثوار ثم ربط نسبه بنسبهم فى قوله :

ان رحت بين صفوفهم مستشهدا
فلأنهم منى وانى منهم
انى هناك لأننى من يعرب
أهلى هناك وقد نزلت عليهم
ان كان فرقنا العدو فاننا
رغم العدو لقاؤنا يتحتم

واقام الشاعر المصرى **على عبد العظيم** وحدة العرب على عدة أسس ، منها الرابطة الدموية فى قوله :

الله الف بيننا بكتابه
والعرف وحد شملنا والضاد
ووشائج الدم والوراثة وطدت
اركانها الآباء والأجداد

وفى تحية الشاعر المصرى **عامر محمد بحيرى** لسورية سنة ١٩٤٩ م دعوة صريحة الى الوحدة قبل ان تظهر الدعوة فى مظهرها الشعبى والرسمى الذى تحقق ، وتعزيز لهذه الدعوة بان المصريين والسوريين اخوة لأب واحد :

اسوريون قد ثاروا لمجد
ومصريون ؟ لا ، بل قلت عربا
فنحن كمنطق الأحداث اهل
وبين بلادنا نسب وقربى
نظرت فلم أجد الا اخاء
يوحد بيننا روحا وقلبا

وناجى الشاعر المصرى **عبده بدوى** أخاه السودانى تصدر المناجاة بانه أخوه فى الوطن العربى وفى التاريخ وفى النيل ينبوع الحياة للاقليمين معا ، وصور وحدة الاقليمين بأن المصرى اذ يحدب على مستقبله المرموق فيحتضنه كما يحتضن الاب الرحيم ابنه ، يلثم هذا الامل ممثلا فى أخيه السودانى ، لأنه فجر هذا الامل وبشيره :

أخى فى الشرق والتاريخ
والنهر الذى يجرى
أضم غدى والثمه
على أهدابك السمر
حملت بقلبى السودا
ن حين بسمت عن مصر
فمن يلقاك يلق الفجـ
ـر ملتفا على عمرى

هذه نغمات من شعراء مصر فى التغنى بوحدة الجنس ، فماذا كانت نغمات الشعراء فى بقية الوطن العربى ؟ ذلك موضوع الحديث القادم .

« د . احمد الحوفى »

في ذكرى مصطفى عبد الرازق

بقلم : محمود الشرقاوي

في اليوم الخامس عشر من فبراير لسنة ١٩٤٧ مات **مصطفى عبد الرازق** ، بعد يوم قضاه يعمل في مكتبه بمشيخة الأزهر .

ومصطفى عبد الرازق رجل وهبه الله أجل هباته من المال ، والعلم ، والجاه ، والجد ، ووهبه أجمل هباته من الخلق الطيب والحياء الجميل ، الذي يزيد صاحبه رفعة ومهابة ومحبة . وجعل حياته كلها مثلا كريما للعمل الخير الدءوب الذي يصدق أن يقال في صاحبه ان يسراه لا تعرف ما تقدمه يمناه .

كيف عرفته :

التحقت بعملي في جريدة « البلاغ » في يونيو من سنة ١٩٣٥ وبدأت ـ بحكم هذا العمل ـ توجد لي صلاة شخصية مع كبار الرجال من الساسة والمفكرين والأدباء ، بعد ان كانت صلاتي بهم صلة مناصرة أو معارضة في السياسة ، وصلة مطالعات ومراجعات في الادب والفكر . وكان من أوائل الرجال الذين عرفتهم يوم ذاك الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان اذ ذاك أستاذا في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

بدأت زياراتي له في « بيت عبد الرازق » الذي كان يقع خلف سراي عابدين في مواجهة الباب الذي كان يعرف « بباب باريس » والذي لم يكن يجهله أديب ولا مفكر ولا عظيم من عظماء مصر . وكنت اقدم نفسي لموظفي البيت أو السكرتير الخاص بوصفي : « مندوب البلاغ » فكان يلقاني في كل مرة بلطفه العجيب وأدبه النادر وبشاشته وحيائه ، وكان في ذلك كله مضرب المثل .

وفي يوم من أيام نوفمبر من تلك السنة قصدت «بيت عبد الرازق» وقدمت لمن لقيني فيه بطاقة بيضاء كتبت فيها اسمي وعملي ، فلما قابلني بدأني باعلان دهشته وعجبه وهو يقول : اني لم اكن اعرفك ، مع اني قرأت لك كثيرا واعجبت بمقالاتك وبحوثك ، وكنت أتمنى أن اعرفك وسألت عنك كثيرا ، وقد تلاقينا منذ شهور كثيرا وحدثتني بالتليفون باسم « البلاغ » ولكني لم أكن أعرفك ، ثم سكت قليلا وتلطف فقال : كان يجب ان اعرف انك انت صاحب هذه المقالات لأن اسلوبك في الحديث ليس عاديا . ولم يترك لي خجلي ولا ادبه يوم ذاك فرصة لشكره ، بل استأنف حديثه يقول: اننا اصدقاء قبل ان اعرفك : صداقة صحفي ناجح لرجل يحب الصحافة ويقدرها ، ولكن من الآن نحن اصدقاء لذواتنا ، صداقة اديب لأديب وانسان لانسان يحب كلاهما الآخر ويستريح كلاهما لصاحبه ، ارجوك ان تزورني وتتصل بي بصرف النظر عن عملك في «البلاغ» .

ومن ذلك اليوم تمكنت صلتي بالشيخ مصطفى عبد الرازق ، وعرفت من خلقه وقصص حياته ما اسجل بعضه في هذه الصفحات تذكرة وتحية واعتبارا وقدوة ، وبقيت صلتي به قوية متصلة الى آخر يوم من عمره ، وسيبقى صدى هذا الخلق وهذه الشمائل والقصص في نفسي وضميري باقيا الى آخر يوم من عمري .

تواضع وكرم :

كانت ابرز صفات مصطفى عبد الرازق : رقة العاطفة ، والتواضع ، وحب الخير ، والاعتداد بالنفس .

تحدث بعض تلاميذه ـ وقد تولى مناصب جليلة في القضاء والجامعة ـ فقال : كان الشيخ مصطفى عبد الرازق يدرس لنا في الازهر مادة «الانشاء» ، فوجد يوما واحدا من طلبته زرى الهندام ، ولاحظ أن بعض اخوانه يكاد يعيره بذلك، وظن طلبة الشيخ انه غير ملتفت لما يجرى بين هذا الطالب وزميله ، ولكنه في أثناء الدرس تطرق الى موضوع القيمة الذاتية للفرد ، وانها لاتخضع

لقياس الثروة والجاه ، وان المال والثياب لايجعلان الرجل عظيما ، وانما قيمة الرجل في علمه وآدابه وفضائله ، قال ذلك كانه في ضمن درسه .

وكان ليقظة الشيخ ولطف توجيهه لأبنائه وعدم اشارته أي اشارة للطالب الفقير ، اكبر الأثر في تقويم تلاميذه وادراكهم مايقصد ، واستقامة نفوسهم بعد ذلك ، وصدق مودة بعضهم لبعض .

وقص تلميذ الشيخ فقال : وشكا واحد من طلبة الشيخ مصطفى الى صديق له سوء حاله وقلة ماله ، وانه يخشى ان تقطعه الحاجة عن طلب العلم ، واستشاره ما يفعل ، فقال له صاحبه ، بعد تفكير ، ليس لك الا استاذنا الشيخ مصطفى ، فقصد الطالب المحتاج ، بعد تردد ، بيت شيخه ، وكان لايزوره ، فلما اقبل على الشيخ ، وكان في مجلسه جمع كبير من العظماء واهل المكانة كان لايخلو بيته من امثالهم ، قام الشيخ لاستقباله مرحبا ، ومشى «الصالة» الكبرى كلها ليلقاه في اولها ، وامسك بيده وسار به فقدمه الى ضيوفه مادحا له ، ذاكرا نبوغه في الطلب وحسن استعداده وذكائه ، ثم ادرك الشيخ بعد قليل ـ من حياء تلميذه وتهيبه ـ انه يعالج في نفسه شيئا ، فاستأذن ضيوفه ليختلي بتلميذه ، فلما اختليا وسمع منه قصته وشكواه قال له : امهلني اسبوعا ثم عد الي بعده ، ولاتجزع .

وبعد أسبوع عاد الطالب الى شيخه فوجده قد وفق لتعيينه في وظيفة اعانته على مواصلة الطلب ، وابلغه ذلك مستحييا كانه يعتذر من تقصيره .

الفتى الازهرى البائس :

وفى شهر فبراير من سنة ١٩٢٧ قرا الشيخ مصطفى في «السياسة الاسبوعية» قصيدة عنوانها «الشيخ المنتحر» ـ وكان صاحبها طالبا بائسا من طلبة الأزهر ـ يقول فيها انه حمل الفقر فتيا وكان حمله ثقيلا حتى هوى تحت ثقله · وانه سئم العيش وكره الحياة لما يلقى من الفقر والعدم · وان دنياه اقفرت من كل خير ومن كل معنى حتى أصبح الموت له امنية ومطلبا ·· وقد راى النهر والانتحار فيه سبيلا للراحة «فمشى يسعى له مستبشرا» ·

قرأ الشيخ هذه القصيدة للازهرى البائس فكتب مقالا في السياسة الأسبوعية عن الانتحار ، ذكر فيها هذا الشاعر ومدح شعره واستشهد بشيء منه . وكان الشاعر المنتحر بين اليأس والفقر وضعف الشهرة بحيث لا يمر بخاطره ان يقرأ شعره من كان في منزلة مصطفى عبد الرازق ، فكيف به وهو يذكره ويكتب عنه ويمدحه ويستشهد به .. ! وذهب الأزهرى البائس الى «بيت عبد الرازق» فقابل الشيخ مصطفى شاكرا.

وكانت هذه المقابلة بدء حياة جديدة للفتى الأزهرى الشقى البائس ، فقد رعاه الشيخ وشجعه واكرمه وتولاه بالعطف والبر والمعونة ، كانما هو أحد الأبرار من أولاده · تلقف مصطفى عبد الرازق هذا الشاعر الفقير الذى اوشك ان يقتل نفسه فاستطاع كما يقول هو ان يصوغ منه « فتى يبتسم للحياة ويمضي متفائلا الى غايته » واصبح هذا الفتى الأزهري البائس بعد سنوات قليلة : « الشاعر محمد الأسمر » ، الذى ظل مصطفى عبد الرازق بعد ذلك طول حياته يرعاه ويبره ويكرمه وينزله اعز منزلة .

وقد رعى شاعرنا الأسمر هذا الفضل للشيخ مصطفى ، وقال فيه كثيرا من شعره ، وخصص فصلا من ديوانه سماه « الرازقيات » ، جمع فيه ما قاله من الشعر في ايادي الشيخ عليه ومنه هذا الشعر الجميل الصادق :

صدق الظن (مصطفى) في زمان
لم يصدق فيه سواه الظنونا
بت دهرا ولى امانى شتى
ثم يممته فصارت يقينا
رب يوم عضضت فيه بنانى
وتمنيت لو هززت الوتينا
ثم اعددت للمنية حبلا
مثل ما شاء (الانتحار) متينـ
ورايت الحمام آقرب للعقـ ··
··ـل وان عده اناس جنونا
روعتنى صروف دهرى حتى
شمت فى «مصطفى» المكان الامينا
كنت اسعى للموت وجها لوجه
فاذا بى احل حصنا حصينا

وكان الشيخ مصطفى ، تواضعا منه وتفضلا ، يزور الأسمر في مكان عمله ويستقبله في « بيت عبد الرازق » أكرم استقبال ، وهو طالب صغير فقير ، ويثنى على شعره في الحضور والغيبة ، ويرعاه في كل وقت وفي كل مناسبة ، حتى انطق لسان الأسمر وقلبه بهذا الشعر الصادق :

وما زال ذكرى كل حين لفضلكم
مدامة نفسى لو تدار مدام
وحبكم فى الروح والقلب كامن
اذا لاح حب الناس وهو كلام
وانت الذى اشرقت كالبدر ساطعا
على وعيشى وحشة وظلام
فبددت من خوفى، واوضحت مذهبى
فابصرت دنيا الناس وهى سلام

وقد صدق الأسمر فى كل كلمة قالها من هذا الشعر .

الشيوخ المفصولون :

وفى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا غضب الملك فؤاد على طائفة من علماء الازهر ففصلت وزارته اكثر من سبعين عالما ، ووقع بعض هؤلاء المغضوب عليهم فى كرب شديد بسبب هذا الفصل وكان معاش بعضهم خمسة جنيهات ولهم اسر كبيرة واولاد . فكان «بيت عبد الرازق» مفتوحا لهم فى كل حين ، ومعونة الشيخ مصطفى لذوى الحاجة منهم لا تنقطع ولا تنقص ، على مدى سنوات اربع او خمس ، حتى اعيدوا لعملهم .

كان يفعل ذلك وهو يعلم ان الملك فؤاد يكرههم وهو الذى أمر بفصلهم ، كان يفعل ذلك بفطرته الطيبة الخيرة البارة العطوف التى لا تنسى صديقا وقت العسرة والشدة ، وكيدا واغاظة فى فؤاد الذى كان يكره بيت عبد الرازق كله كما كان اهل هذا البيت يكرهونه ايضا ولا يخفون ذلك .

وكان اشد هؤلاء العلماء المفصولين حاجة وفقرا شيخ كبير عرف بالعلم والشجاعة ، كثير الأولاد وكلهم بنات . فكان الشيخ مصطفى يستضيفه الأيام ، والاسابيع ، فى القاهرة و«أبو جرج» ــ بلدة الأسرة فى المنيا ــ وفى فترة هذه الاستضافة تحمل الى بيت هذا الشيخ مؤونة أولاده من الدقيق والرز والسمن والطير وخراف العيد ، فى أيامه ، فاذا عاد الى بيته وولده عرف خبر ذلك منهم ولم يكن سمع من الشيخ مصطفى عن ذلك خبرا ولا اشارة . ودام ذلك سنوات الفصل كلها ، ولعله دام بعدها ايضا .

الملك فؤاد وبيت عبد الرازق :

كان بيت عبد الرازق واحدا من «بيوت العز» الكبيرة فى القاهرة :

واسع فسيح ولكنه غير مرتفع ، يصعد الداخل سلما قصيرا ثم يجد الى يساره «صالة» كبيرة يجلس فيها اهل البيت من الرجال مع ضيوفهم ؛ وخلف الصالة حجرة يستقبل فيها الشيخ خاصة اصدقائه ، وبعدها حجرة المكتبة ، ولعلها حجرات وكان لهذه المكتبة «امين» خاص يشرف عليها ، ونظام «للاستعارة الخارجية» بعض أصدقاء الشيخ وتلاميذه يأخذون منها ما يحتاجون اليه من الكتب الى خارج الدار « يملأون » الاستعارة ثم يوقعون عليها ويحفظها الامين ، وكم من كتب خرجت منها فلم تعد ، وتبقى الاستعارة لدى الأمين حتى يأمره الشيخ بتمزيقها وشراء الكتاب مرة اخرى .

وكان بيت عبد الرازق هذا يقع ــ كما قلنا ــ الى شرقى قصر عابدين ، بينهما شارع غير فسيح ، وكان «بيت عبد الرازق» من عمد حزب الاحرار الدستوريين منذ نشأ الحزب ولم يتحول عن مناصرته يوما .

وطغى يوما حقد فؤاد على هذه الأسرة ولم يعد يطيق جوار بيتهم الى بيته ، فطلب الى رئيس حكومته أن يهدم بيتهم ويتحيل فى ذلك حيلة ، وكانت حيلة الحكومة أن أعلن أن حكومته قررت انشاء متنزه عام فى ذلك الحى الوطنى الذى يزدحم بالسكان خلف قصر عابدين ، وانها ــ لهذه الغاية الشريفة ــ قررت شراء البيوت التى تقع خلف القصر وهدمها واقامة هذا المتنزه مكانها ، تفريجا عن سكان الحى وتنفيسا عن أطفاله ونسائه . ولم يكن الغرض من ذلك كله خافيا على مصطفى عبد الرازق واسرته فرفض أن يبيع البيت بأى ثمن . وعرضت الحكومة عليهم يوم ذاك اضعاف ثمنه فرفض ، حتى أيقنت الحكومة وأيقن الملك فؤاد انهم لن يبيعوه مهما بذل لهم فيه . وبقى البيت حتى مات فؤاد فباعوه ، وانتقل الشيخ مصطفى الى منشية البكرى .

الوزارة ذل :

ثم جاء فاروق وكانت سياسته في أول عهده ان يترضى ويتألف ، فاختار الشيخ مصطفى وزيرا للاوقاف .

وقد لقى الشيخ فى هذه الوزارة بلاء كثيرا لم يكن ينتظره ولا يتوقعه ، فقد كان جو الوزارات وملابسات السياسة والحكم وتقاليد القصور لا تواثم خلقه ولا حياءه ولا طبيعته ولا كبرياءه .

ثم اختاره فاروق بعد ذلك شيخا للازهر ، ليغيظ به النحاس وحزبه ، فكانت تلك محنته الكبرى التى قضت على هدوء نفسه ثم على حياته .

« محمود الشرقاوى »

من مغالطات المثقفات

بقلم : عبد الجليل شلبي

قضية الرجل والمرأة في حياتنا الشرقية عامة وحياتنا المصرية خاصة قضية بعيدة المدى في التاريخ عميقة الاثر في النفوس شديدة التقارب في رأس الرجل والمرأة على السواء ٠

كانت هذه القضية في فجر الدعوة الاسلامية أثرا من رواسب العهد الجاهلي وما اصاب المرأة خلاله من ظلم وما عانته عند كثير من القبائل من مهانة واحتقار ٠ وكانت في حياتنا المصرية نتيجة لسني الركود الطويلة وعهود الجهل القائمة وما ألفته المرأة خلالها من تبعة وسلبية واهمال ٠

وتلمح أثارا لهذه المنافسة في حياة الرسول (ص) اذ يقول له نساء الانصار غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما تعظنا فيه ٠٠٠ » كما نجد الموازنة والرضا بالتبعية في قول هند بنت عتبة له وهو يبايع النساء على الا يشركن بالله شيئا : « ما كنت لترضى منا ما لم ترضه من الرجال » ٠ وهند زعيمة بنت زعيم وزوج زعيم ولكنها قطعت أطماعها في الوثنية اذ رأت الرجال قطعوا أطماعهم فيها ٠

وقد أعاد الاسلام للمرأة حقها في الحياة وكانت توءد خشية الفقر ـ وقرر نصيبها في الميراث وكانت تهمل اهمال الموتى ـ وقرر مكانتها في الانسانية وكانت تسام سوم العجماوات ـ وأكد اصالتها في المجتمع وكانت تعامل معاملة الرقيق ٠

ولما ران على حياتنا ما ران من ليل الجهل المظلم ومنيت بما منيت به من بغي المستعمر المستبد جحد حق المرأة في التعليم وتضاءلت مكانتها في المجتمع وجهلت لذلك وظيفة البيت وحسن القيام على تربية الولد وحرمنا من نعمة البيت المنظم والحياة الزوجية الرتيبة والتنشئة الصالحة القويمة ٠ واتهم الاسلام بهذا كله وهو مما اتهم به بريء !!٠

وبفضل المدارس والجامعات استعادت المرأة الشرقية مكانتها في المجتمع معتمدة على العقلية الناضجة والثقافة الواسعة والفهم العميق ، فهل اقامها هذا على المحجة الواضحة وفهمت ، ما عليها وما لها ٠

أكبر الظن أن رواسب الماضي مازالت تعمل في نفسها من وراء حجاب وتدفعها الى الانتقام والمنافسة بغير وعي ولا شعور ـ واخشى أن تكون ما ظفرت به في عهد الثورة من كرسي الوزارة ومقعد البرلمان ورآسة المكتب ووكالة النيابة ٠٠٠ الخ أغراها بالمزيد مما يناسب وما لا يناسب ودفعها الى المزاحمة بحق وبغير حق ٠٠

ولا أوجه هذا الحديث لقليلات الحظ من الثقافة وانما أوجهه لكبار المثقفات اللائي يقفن موقف الزعامة ويقمن مقام القائدات في المطالبة بحقوق النساء ٠

كتبت السيدة « نائلة العلايلي » بمجلة المصور بتاريخ ٢٢/١/١٩٦٥ مقالا تطلب فيه أن ترث الانثى اذا انفردت كل ما يترك والدها ولا يشاركها الأقارب العصبة في شيء، منه أسوة بما يحدث للولد الذكر اذا لم يلد أبوه غيره فانه حينئذ يرث التركة ويحجب من يقبل الحجب من الأقارب ٠

هذا رأيها وقد فصلت بعض التفصيل لان السيدة فيما يبدو غير ملمة بأحكام المواريث ، والسيدة لاتمنع أن يرث الذكر مثل حظ الانثيين في حال وجودهما عملا بنص القرآن لانها ترى أن هذا نوع من الاجتهاد ويعتمد على النصوص ولا يخالفها وهي تسند هذا الرأى الاجتهادى بعدة أمور ٠

منها أنه لا نص في القرآن يعارض هذا الرأى ، ومنها ان البنت أكثر حاجة الى ميراث الاب من الابن ومنها أن باب الاجتهاد مفتوح في الميراث لآراء المجتهدين كأى باب آخر من أبواب الفقه الأخرى فهو « يتقبل المزيد من الشرح والقياس من غير مساس بالاصل أو نسخ له وقد واجهه الشراح ومازالوا

يجتهدون في تفسير أحكام المواريث ، كأحكام الدين الواجبة والاذن للمورث في ثلث ما له بعد وفاته دون تعليق على أجازة الورثة ، وقد « ذخرت الفتاوى بالاجتهاد والمؤلفات والدراسات الفقهية طوال أربعة قرون الى أن قفل باب الاجتهاد » (كذا) ٠

ومنها أن « المذهب الشيعي وصل في فقهه الى القول بأن البنت اذا انفردت أو انفردت البنات استأثرت بتركة المتوفى دون غيرهم » (كذا) ٠

ولا يقف الأمر عند هذا بل « أوصت بذلك لجنة مركز المرأة في المؤتمر الاخير للاسرة الذى عقدته وزارة الشئون الاجتماعية على نحو ما هو ثابت في محاضره » ٠

وهذه خلاصة أدلتها ٠

ونرى أن الأمر كان أهون من أن تقوم له ضجة أو يعرض علىالوزارة وتشغل به لجنة ــ وأمام اللجنة ولا ريب شئون أهم وميادين افسح لترقية الانثى ورفع مركزها ومستواها ٠ بل لعله كان أهون من أن ينشر في صحيفة ٠

أن السيدة الكاتبة لا ترى مخالفة النصوص ولا تطالب بنسخها ولا مسها بأى تغيير ٠ والآية صريحة في تحديد نصيب البنات واحدة أو أكثر ونصها « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف٠٠٠ الخ » (سورة النساء آية ١١) ٠

واذن فقد كان يكفي أن تقرأ السيدة هذه الآية وبقية آيات المواريث وكفى ، والآيات الأخريات فيها أنصبة الاناث الوارثات وبيان ما فرض لكل منهن٠ وهناك أيضا الحديث الشريف : « الحقوا الفرائض بأصحابها فما بقى فلأولى عصبة ذكر» واذن فالسيدة لا تخالف الآية فقط وانما تخالف الآية والحديث ٠

ونود أن نسأل السيدة الباحثة ــ لماذا ترى أن البنت أكثر حاجة الى ميراث أبيها من الابن ؟ انها في الوقت الحاضرتتعلم كما يتعلم وتلى منالوظائف مايلى ومع هذا فهو المسئول قانونا وعرفا عن نفقتها ٠ ومع أن الشرع حمل الزوج هذه النفقة مهما كان فقيرا أعفى الزوجة منالانفاق عليه مهما كانت غنية٠ والسيدة نائلة تعرف هذا ولا ريب ٠ فما وجه حاجة البنت دون الولد لهذا الميراث ؟

أما رد المال الباقي بعد نصيب البنت أو البنات على العصبة فقد تحدث الناس فيه كثيرا وبينوا حكمته وهى الابقاء على روابط الأسرة اذ تقتضى صلات الدم بين الأقارب الأدنين أن يتعاونوا على دفع المضرة وهم لهذا شركاء في بعض المنافع والانثى مفروض أنها في نفقة زوجها ، وأيضا في رعاية أقاربها فليكن لهم ــ بحكم صلتهم ما يزيد عن فرض الاناث ــ وهؤلاء العصبة الذكور هم الذين يتحملون دون الاناث غرم مايرتكب من جنايات توجب العقل ــ ويكون وهو الجاني كواحد منهم فقط ــ وتعفى النساء من هذا الغرم ٠

فاذا انفردت البنت التى لا تحمل شيئا مع عاقلة المتوفى فلا بأس أن يرد ما زاد من فرضها على هؤلاء الذين يغرمون ٠

أما أن باب الاجتهاد في المواريث كبقية أبواب الفقه ظل مفتوحا للاجتهاد طوال أربعة قرون فهذا ما لم يصح لأن الميراث كله قام على النصوص٠ وليس للفقهاء أكثر من فهمها وحسن تطبيقها ــ فعمل عمر ابن الخطاب في المسألة « الحجرية » أو « المشتركة » ليس الا تطبيقا للنص ــ وليست المسائل التى ذكرتها السيدة من الميراث وانما هى من الوصية والوصية شيء غير الميراث ٠ وأيضا من الحق أن الشراح لا يزالون يكتبون في توضيح مسائل الميراث ولكن الشروح أعمال مدرسية فلاصلة لها بالاجتهاد٠

وأحسب أن هذا كلهمفهوم او كانيجب أن يكون مفهوما لدى المثقفات ٠

أليست هذه مغالطات ٠؟

أما ما استندت اليه السيدة الكاتبة من أن هذا الحكم في الفقه الشيعي وأنه في مطبوعات وزارة الأوقاف المصرية فهذا ما لا أعلمه ولم أر مطبوعا

لوزارتنا غير كتاب « المختصر النافع » وليس فيه بحث في المواريث ، واذا صح ما ذكرته السيدة فلا يصح لها هي أن تتجه اليه لانها لا ترى مخالفة القرآن .

ونحن حقا بصدد التقريب بين المذاهب ولكن في هذا نختار الرأى الأوضح دليلا والأقوى حجة .

هذه مغالطات لاحدى مثقفاتنا .

والمثقفة الثانية هي الدكتورة « بنت الشاطىء » ،

في ندوة من ندوات الدكتورة عائشة ذهب بها التعصب للجنس الى انكار الحديث الشريف « استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعوج شيء في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » ، والحديث معروف ووارد في الكتب الصحيحة . وليت السيدة ضعفت سنده أو تحدثت عن رواته ولكنها نفته نفيا باتا .

وأظن أن هذه أكبر من مغالطة !

وأمام رغبتها في التسوية بين الرجل والمرأة في كل شيء راحت تضطرب في تفسير الآية الكريمة : واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى .. »

وقصارى ما هداها اليه الجهد أن الله تعالى قال لنبيه (ص) : « ووجدك ضالا فهدى » . واذن فالمرأة ما وصفت الابما وصف به الرسول (ص) فهو ضلال فيما رأت لا ينزل بها الى نصف الرجل في الشهادة ولا يجعلها أقل منه في الشهادة على الدين !

هكذا ترى صاحبة التفسير البياني .

فهل من الحق أن الضلال بمعنى واحد في الآيتين ؟

او هكذا يكون جزاء القرآن الذى قرر حقوق المرأة بالقانون وجزاء النبى الذى أنصف النساء بالفعل ؟ .

ان الضلال في آية الشهادة بمعنى النسيان او بمعنى الخطا – بدليل الحاجة الى التذكر « فتذكر احداهما الأخرى » ، أما أن الله تعالى وجد نبيه ضالا فهداه – فهو يعني أنه كان قبل البعثة بعيدا عن الشرع السماوى فهداه الله اليه وجعله نبيا – كما قال له « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان » ، واكثر من مفسر قالوا انه كان في صغره (ص) ضل في بعض الشعاب ولم يعرف الطريق .

ولم هذا كله ؟. ألسنا نعرف أن الطبيعة هيأت كلا من الجنسين لوظيفته ؟ خلقت الانثى لتكون اما واودعتها غذاء مولودها رضيعا وزودتها بالرقة والعطف والمزيد من الحنان ومن شأن هذه الصفات أن يكون صاحبها رخو الاعصاب فاتر القوة قليل المقاومة – ولو كانت انثى قوية الاعصاب شديدة الاسر ضئيلة العاطفة والحنان ما صلحت ان تكون اما ولا انثى – وانما هي من شواذ النساء . وليس من فخر المرأة ان تكون رجلا أو ان تتوفر لها صفات الرجولة فلا داعى اذن لمزاحمة الرجل في وظائفه التى هيىء لها بالطبع وهى تتطلب منه القوة التى ليست للنساء .

حسب المرأة أنها تضع ولدها صغيرا – ونجاحها هو أن تهيئه لما خلق له تهيىء الذكر لاعمال الذكورة وتكمله بصفات الرجولة وتهيىء الانثى أيضا لوظيفتها فتوفر لها صفات الانوثة – وليس من نجاحها أن تجعلها ذكرا تتحلى أو تمسخ بصفات الرجال .

ان الاسلام – كما نعرف – دين الفطرة . وهو قسم الوظائف والاعمال وأيضا المواريث والأموال بما يناسب فطرة كل نوع ويجارى طبيعته – فلا داعى اذن لانكار حديث ثابت أو تأويل آية قرآنية تأويلا شاذا متعسفا ، فهذا كله لا يغير من الواقع شيئا والطبيعة لا تعترف بالمغالطات حتى ولو كانت مغالطات المثقفات .

« عبد الجليل شلبى »

بغداد

للشاعر: محمود غنيم

القصيدة التى انشاها الشاعر لتلقى فى مهرجان الشعر بمدينة بغداد
بناء على دعوة وجهت اليه من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

بغداد قرة عين الشرق بغداد لحن تغنى به الاسلام والضاد
الدهر يعرفها للكون عاصمة تقوده كيفما شاءت فينقاد
ان تبتسم تشرق الدنيا وان غضبت ففى السموات ابراق وارعاد
تزهى الحواضر ما شاءت بحاضرها وكلها لك يا بغداد اولاد

***

الغرب ان ينكر ما ادى بنوك له والكتب تنطق والأقلام شهاد
بنى عمومة طه ما اقول لكم ؟ وانتمو لبنى العباس احفاد
تدرى العروبة يوم الروع انكمو لها سواعد فى الجلى واعضاد
ثرتم على البغى والباغى ولا عجب فالشعب للحاكم الجلاد جلاد

***

ما فى العراق افتراق بعد ثورته اكراده عرب والعرب اكراد
ما قاسم بغداد فى الأفواه اغنية ولا كامجادكم يا قوم امجاد
قل للالى طاف حول النجم طائفهم وارتاد منهم طباق الجو مرتاد
ان تفعلوا فبنو العباس من قدم تناولوا بالأكف النجم او كادوا

***

ايام ملك بنى العباس مزدهر له من الشمس والأفلاك حساد
عروشهم فوق ظهر الأرض راسخة كانها فوق ظهر الأرض اوتاد
لم ادر كانوا ملوكا ام فلاسفة عليهمو من نسيج العلم ابراد ؟
العلم حليتهم ما منهمو ملك الا فقيه ونحوى ونقاد

***

فاض الفرات حضارات فكان له بها مع الماء ارغاء وازباد
وسال دجلة قبل الماء معرفة منها ارتوت مهج ظماى واكباد
ما كان للشعر فى بدو وحاضرة لولا رواتك يا بغداد انشاد
الشعر انت التى علمت وازنه ان الموازين اسباب واوتاد

دونت ما نظم الأسلاف من درر ... لولاك بادت غواليها كما بادوا
كم من معارف قد احييت دائرها ... وكم لعلم جديد فيك ميلاد
لولاك ما كان للفصحى مذاهبها ... وللحديث روايات واسناد
بغداد حسبك من دنياك اربعة ... هم في الشريعة للأجيال رواد
مدينة للنواسيين ركنهمو ... فيها وللعلم والآداب قصاد
العيش فيها كموج البحر مصطخب ... فيه تلاقت من الألوان اضداد

***

للهو فيها حوانيت واندية ... وللصلاة محاريب وعباد
والثقافة تاليف وترجمة ... وللغناء مزامير واعواد
يارب كنز حوته دار حكمتها ... تحصى النجوم ولا يحصيه تعداد
كنز من الفكر فيه كل مبتكر ... املاه ذهن كومض البرق وقاد
يارب شعر عراقي هتفت به ... كأنه لي في الأسحار اوراد
مازلت اتلوه حتى لم يعد ابدا ... بيني وبين الألى قالوه ابعاد

***

الوهم مثلهم لي في الكتاب فهم ... فوق الصحائف ارواح واجساد
هذا ابن هاني على يمناي ينشدني ... وعن يساري بشار وحماد
واين منك عهود رحت تنشرها ... مرت بها عقب الآماد آماد ؟
دعني اسرح في آثارها نظري ... آثارها عظة كبرى وارشاد
دعني اعيش مع الماضين في حلم ... ان الهموم على اليقظان تزداد
عل الرشيد اذا انشدت يسمعني ... ان الرشيد كريم الكف جواد

***

وما الرشيد سوى لحن يردده ... فم الزمان والألحان ترداد
حصاد هام العدا في كل معركة ... وللسنابل يوم السلم حصاد
ينهى ويامر في الدنيا وفي يده ... بعد المقادير اشقاء واسعاد
تزجى اليه هدايا الروم لا كرما ... ان الضعيف لمن يخشاه وداد
اهاب بالسحب ان شئت فانسكبي ... فكل نبتك لي يا سحب ايراد
رب القصور قصور العز باذخة ... كأنها في نطاح السحب اطواد

***

رب الجواري اللواتي ما اهن سوى ... عواهل الفرس والرومان اجداد
من كل جارية للشعر راوية ... كأنها غصن في الروض مياد
لنا اوائل سنوا كل مكرمة ... شم الأنوف اباة الضيم انجاد
شادوا المعاقل والاطام شامخة ... لله والمجد والعمران ما شادوا
ان يسالوا مالهم في السلم ما بخلوا ... او يسالوا في الوغى ارواحهم جادوا
لهم سيوف على الأغماد ثائرة ... لكن لها قلل الأبطال اغماد

هم في رءوس اعاديهم ذوو طمع ... وفي الغنائم بعد النصر زهاد
ينقض كالصقر فوق المدن جيشهمو ... كأنما هي صيد وهو صياد
في السلم ان عاهدوا والحرب ان ظفروا ... عن شرعة العدل والاسلام ما حادوا
لا تلمس الأرض منهم بيض أوجههم ... الا وهم لجناب الله سجاد
ابناء يعرب لنا من سلالتهم ... ان نحن لم نسد الدنيا كما سادوا
تكتلت امم الدنيا باجمعها ... وانت يا امة التوحيد آحاد

***

اني لأوشك ان اعتد وحدتنا ... دينا وان افتراق الشمل إلحاد
بالأمس كنا وكان الشرق اجمعه ... ان قام تقعده اغلال واصفاد
في كل واد للاستعمار قاعدة ... لها اساسان تخريب وافساد
واليوم لا عيش للمحتل في بلد ... حر ولن تلبس الأطواق اجياد
قد بات مارد الاستعمار محتضرا ... يبكيه من عصبة السكسون عواد
ما عذرنا ان بقينا امة شيعا ... لكل جيش بها جند وقواد !

***

كاد الأعادي لنا يوم اللقاء ولو ... انا وقفنا لهم صفا لما كادوا
لا يحرز النصر جيش غير متسق ... تباينت فيه اجناد وابناد
عجائب الدهر لا تحصى واعجبها ... ان يخلي الغاب للذؤبان آساد
البغي اوجد اسرائيل من عدم ... ولن يدوم لاسرائيل ايجاد
وانما القدر المحتوم لاحقهم ... يوما وللقدر المحتوم ميعاد
فليعلم الغرب ان الشرق لافظهم ... وان اتتهم من الشيطان امداد

***

اني اسيء الى الأوغاد قاطبة ... ان قلت عن عصبة الصهيون أوغاد
هم أحرزوا النقص حتى ما لغيرهمو ... في النقص نون ولا قاف ولا صاد
ابناء يعرب ذودوا عن محارمكم ... ان الكريم عن الأعراض ذواد
اللاجئون جراح في جوانحنا ... تدمى فهل لجراح العرب ضماد
اللاجئون سقام في مفاصلنا ... ولا شفاء له الا اذا عادوا
القوا بصهيون في عرض الفلاة فهم ... من عهد فرعون افاقون شراد

***

تعودوا النفي والتشريد من قدم ... وكل ما عود الانسان يعتاد
سل « سر من را » اباق في مرابضها ... من جيشها الباسل المغوار افراد ؟
هل ثم معتصم ثان نهيب به ... نادوه يا اهل يافا جهرة نادوا
قولوا لمنقذ عمورية اغتصبت ... منا الديار فلا ماء ولا زاد
يا يوم رد فلسطين الشهيدة ما ... للعرب غيرك في الأيام اعياد
لا يحسب القوم ان العرب قد عقموا ... شعب العروبة للأبطال ولاد
ما زال فينا لعمرو وابن حارثة ... وخالد وصلاح الدين انداد

حبل الغسيل..

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: على احمد باكثير

الفصل الأول

- ٢ -

ملخص مانشر

نحرم ابو الديوك مدير مسرح النهضة وعبدالواسع بلعوم مدير احدى الجمعيات الاستهلاكية اتفقا على ان يطردا جارهما الاسطى ابا حنفى الكوجى من مسكنه ليستوليا على الحوش الملحق بالربع ويتخذاه حديقة خاصة لهما فقد اصبحا اليوم من الأثرياء فلايليق بهما ان يقيم بجوارهما هذا الكوجى الذى يتخذ الحوش منشرا لغسيله . وقد استعملا كل وسيلة للوصول الى هذا الهدف فابو الديوك اضطهد الممثل الشاب حنفى ابن ابى حنفى الذى يعمل فى مسرح النهضة ليحمل والده بذلك على اخلاء مسكنه فى الربع ، وسعدية زوجة بلعوم تهم بتلطيخ الثياب التى ينشرها ابو حنفى فى الحوش نكاية به لولا أن ابنتها زينات اعترضت دون ذلك ، ولكن ابا حنفى وقف ثابتا يدافع عن مورد رزقه الوحيد . وتعطف عليه السيدة محسنة زوجة ابى الديوك التى تعارض زوجها سواء فى موقفه من ابى حنفى او فى بقائه مندمجا فى شلة ذات اتجاه خاص اصبح فى رأى محسنة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو مضرا بمصلحة البلد .

وقد تهيأ ابو الديوك لاقامة حفلة فى بيته يدعو اليها اعضاء شلته فهو يامر ابا حنفى برفع الهدوم المنشورة فى الحوش حتى لا يراها الضيوف ويضطر ابو حنفى الى النزول على ارادته تحت الحاح ابنه حنفى عليه .

محسنة : جاءوا ؟

عصام : نعم .

ابو الديوك : هيا يا محسنة أعدى البوفيه .. اسرعى .. قل لهم يتفضلوا يا عصام .

عصام : هنا فى البرندة ؟

ابو الديوك : نعم .

(يخرج عصام وتخرج محسنة)

ابو الديوك : تفضلوا يا جماعة . دكتور نجم أهلا وسهلا .. مدام نجم أتشانتيه مدام

(يدخل نجم ومعه ليليان زوجته والشاعر نهاوند)

نجم : شكرا يا أستاذ أبو الديوك . اسمح لى أن اقدم اليك شاعر العراق الاستاذ بحر العلوم نهاوند !

ابو الديوك : مرحبا بالأستاذ نهاوند . تشرفنا يا أستاذ تفضلوا تفضلوا .

نجم : طبعا تسمع عن الاستاذ نهاوند ؟

ابو الديوك : طبعا وهل يخفى القمر ؟

نجم : لا تخف ولا تتحفظ فالشاعر نهاوند منا ، وفى وسعك أن تعتبره ديكا من الديوك .

ابو الديوك : البيت بيته على كل حال .

نجم : أترانا جئنا قبل حلول الموعد ؟

ابو الديوك : بل جئتم فى الموعد وانما نحن الذين سرقنا الوقت . معذرة .. هل لكم أن تجلسوا هنا قليلا ريثما يتم اعداد البوفيه ؟

نجم : بل هنا فى البرندة أحسن . الدنيا حر !

ليليـــان : هل تأذن لي يا أستاذ أن أدخل وأساعد المدام في اعداد البوفيه ؟

ابو الديوك : لكنا لا نريد أن نتعبك

ليليـــان : لا تعب بتاتا .

ابو الديوك : تفضل اذن يا مدام .. بكل سرور .

(تخرج ليليان)

ابو الديوك : (ينظر ناحية الباب) تفضل يا أستاذ عبد الواسع تفضل ياسعدية هانم !

(يدخل عبد الواسع بلعوم وسعدية امرأته)

نجـــم : أهلا . كيف حالك يا أستاذ بلعوم – أوه سوري ليدز فيرست .. كيف حالك أنت يا مدام بلعوم .

ســعدية : أوه .. مرسي .. كيف حالك أنت يا أستاذ نجم الدين ؟

نجـــم : نجم فقط يامدام من غير الدين !

ســعدية : آسفة يادكتور . دائما أغلط في اسمك . كيف حالك يا دكتور نجم الدين . بردون يا دكتور نجم .

نجـــم : خذي هذه البطاقة يامدام لئلا تغلطي في اسمي مرة أخرى (يناولها بطاقة)

ســعدية : الله ؟! هاتنذا أثبت الدين ! دكتور معـروف نجم الدين .

نجـــم : لكن تأمل جيدا يامدام تجدي الدين عليه كروس!

ســعدية : صحيح .. لكن ألم يكن أفضل لو أنك حذفته من الأصل ؟

نجـــم : لا يامدام .. هكذا أحسن .

ســعدية : كما تحب يادكتور نجم الدين – أوه ! يادكتور نجم من غير دين .

بلعــوم : سعدية دعيني أحيي الدكتور !

ســعدية : حيه يا أخي منذ منعك ؟ لكن حذار أن تغلط ؟

بلعــوم : كيف حالك يا دكتور نجم ..

ســعدية : (تضع يدها على فمه) حاسب !

بلعــوم : (غاضبا) ماهذا ؟

ســعدية : لئلا تغلط في اسمه !

ابو الديوك : (ينظر ناحية الباب) أهلا بالأستاذ محبـوب نادر ! أهلا بعريس الحفلة !

(يدخل محبوب نادر فيحيي الحاضرين)

نــادر : كيف حالكم يا أصدقاء ؟

نهاوند : الأستاذ نادر المحتفل بتكريمه ؟

ابو الديوك : نعم نعم . هذا شاعر العراق الأستاذ نهاوند يا أستاذ نادر جاء من لبنان ليشترك في تهنئتك وتكريمك .

نجـــم : كن دقيقا في كلامك أرجوك . التكريم للاستاذ نادر لكن التهنئة لنا جميعا

ابو الديوك : حلوة يادكتور نجم !

نــادر : شكرا شكرا لكم جميعا .. معذرة . الشـاعر نهاوند من العراق أو من لبنان ؟

نهاوند : من العراق ياسيدي لكن مقيم في لبنان .

بلعــوم : لا بد أنه كان من أنصار ع.ق .

نجـــم : مضبوط .

ســعدية : و ع.ق. هذه ما معناها ؟

بلعــوم : (متأففا) عبد الكريم قاسم ياستي .. الزعيم الأوحد .

ســعدية : هلا قلت هكذا من الاول .. أمن الضروري أن تقول ع.ق ؟

بلعــوم : أوه .. لن تنتهي !

ســعدية : وهذا العين قاف أليس قد مات يأستاذ نهاوند ؟

نهاوند : (في استياء) لا يا مدام مامات .

ســعدية : مامات ؟ أليس هو الذي سحلوه ؟

نهاوند : بلى .. سحلوه لكن مامات .

ســعدية : مثل القطط بسبعة أرواح ؟

نجـــم : لا يامدام بلعوم . هو يقصد أن الزعيم الأوحد حي في قلوبنا حتى بعد موته .

ســعدية : في قلوبنا نحن ؟

نجـــم : نعم .

ســعدية : ونحن مالنا وماله ؟

نجـــم : ماذا تقولين ؟ هذا زعيم من زعمائنا العظام . آه لو كان يطلع في كل بلد عربي زعيم مثله لكنا حققنا أمانينا من زمن بعيد !

(يدخل زيد)

ابو الديوك : أهلا بالأستاذ زيد

نجـــم : مرحبا بكاتبنا المسرحي الكبير !

زيد : العفو يا دكتور

بلعوم : اقدم اليك الشاعر نهاوند

زيد : أهلا وسهلا تشرفنا

(يدخل عمرو فيحيي الحضور)

ابو الديوك : أهلا بالاستاذ عمرو . الاستاذ عمرو ناقدنا المسرحي الكبير . الاستاذ نهاوند شاعر العراق

عمرو : أهلا وسهلا .. سبق لي أن تشرفت بمعرفته

ابو الديوك : مرحبا بالاستاذ ميرغني ! تفضل تفضل !

(يدخل ميرغني)

ميرغني : معذرة يا اصدقاء ان تأخرت قليلا

ابو الديوك : الاستاذ ميرغني مخرجنا المسرحي الكبير .. الاستاذ نهاوند شاعر العراق

الاثنان : تشرفنا تشرفنا

نجم : اظن ان عقد المدعوين اكتمل الآن ؟

ابو الديوك : لا . الاستاذ باهي صلصل لم يحضر بعد

نجم : اتريدون ان تنتظروه ؟

ابو الديوك : واجب يادكتور

نجم : واجب علينا أن ننتظره وليس واجبا عليه أن يحافظ على مواعيده ؟!

ابو الديوك : ها هوذا الاستاذ صلصل قد جاء ! تفضل يا أستاذ صلصل

(يدخل صلصل فيحيي الحاضرين)

ابو الديوك : اقدم اليك الشاعر نهاوند شاعر العراق

صلصل : اهلا وسهلا .. سمعت عنك الكثير يا أستاذ نهاوند .

نهاوند : تشرفنا يا استاذ

ابو الديوك : (كأنه يسر لنهاوند) اسمع . الاستاذ صلصل هذا رأسنا ورئيسنا الحقيقي .

نهاوند : (كالمتعجب) والدكتور نجم ؟

ابو الديوك : هذا من الصنف الثانية !

(تدخل محسنة وليليان)

محسنة : اهلا بكم جميعا ياجماعة

سعدية : بردون يا محسنة هانم . هل تم اعداد البوفيه ؟

محسنة : نعم ياسعدية هانم تفضلي

سعدية : أهلا مدام نجم الدين .. آسفة مدام نجم .. مدام نجم .. أين كنت يامدام ؟

محسنة : كانت تساعدني في اعداد البوفيه

سعدية : هذه ضيفة يامحسنة هانم . لو كلمتني انا لسرني ان اساعدك . هيا بنا ياجماعة الى البوفيه لنأكل

بلعوم : انتظري قليلا ياسعدية

نجم : يمكن فيما اظن ان نفتتح الحفلة بقصيدة يلقيها علينا الشاعر نهاوند

سعدية : الا تتركونه يأكل اولا لعله جوعان !

نجم : القصيدة ليست طويلة على كل حال . هات يا استاذ نهاوند

(ينهض نهاوند ويصفق له الحاضرون)

نهاوند : (ينغم الكلام على مثال حركة القطار)

نادرنا المحبوب في هذا الزمان
قطار اكسبريس
قد انبرى قد انبرى قد انبرى في الريس
حتى انتهى الى محطة الامان
قبقب قبقب قبقب قبل الاوان !
اذ جاء من عاصمة الالمان
من بعد ما تعلم الذرة
وسرها الهائل ذا القدر
في مدة وجيزة كادت تعد بالثوان
ففاز فاز فاز فاز بالرهان
اليوم قام للديوك في البلاد مهرجان !
وفي غد يكون في ايدي الديوك الصولجان !

(يصفق الحاضرون تصفيقا حادا)

الجماعة : يعلقون مبدين اعجابهم) هذا شعر معبر جدا ! يا سلام !

ـ كأنما كنا في القطر والقطر ينهب بنا الارض !

ـ يا سلام على الشعر الحلو !

ـ هكذا الشعر والا فلا !

ـ أليس هذا هو الشعر التفعيلي كما يقولون ؟

ابو الديوك : استاذنا الدكتور نجم هو الذي يستطيع ان يشرح لنا هذا الموضوع

نجم : هذا طبعا من الشعر التفعيلي والا لما هزكم هذا الهز ! الشعر العمودي قد مات من زمن !

زيد : لكنا يادكتور نسمع كثيرا من هذا الشعر التفعيلي دون أن نجد فيه هذا التعبير الناطق الذي نجده في هذه القصيدة التي سمعناها الآن

نجم : اتدرون لماذا ؟ لأن هذه القصيدة ليست شعرا تفعيليا فقط . بل فيها بشائر الاتجاه الى شعر النبر !

الجماعة : شعر النبر ؟!

سعدية : وهذا النبر ماذا يكون ؟

بلعوم : يا شيخة ! أوقد عرفت العمودي والتفعيل حتى تريدي أن تعرفي النبر ؟

سعدية : وانت اتعرف هذه الانواع ؟

بلعوم : أنا لا أعرف غير العمودي الذي قالوا انه مات من زمن !

سعدية : اذن فاتركنا نسأل الدكتور نجم مادام هنا .. لن نخسر شيئا

بلعوم : يا عزيزتي لا تسأل عما لا يعنيك . دعي الآخرين هم الذين يسألون

نجم : أعتقد أنه لا يوجد الآن بيننا شاعر غير الاستاذ نهاوند فلا داعي اذن لأن اشرح لكم هذه الالفاظ الاصطلاحية . يكفي أن تعرفوا أن تحطيم الشعر العمودي بالشعر التفعيل ليس كافيا اذ لو وقفنا عند هذا الحد لخدمنا الشعر العربي خدمة كبيرة، كلا انما هذه خطوة نحو الهدف الاكبر الذي نسعى اليه . اتعرفون ماذا تكون الخطوة الثانية؟

الجماعة : هيه؟

نجم : تحطيم الشعر التفعيل بشعر النبر

الجماعة : وما هو شعر النبر هذا ؟

سعدية : (لزوجها) ارأيت ؟ نفس السؤال الذي سألته انا من قبل !

نجم : شعر النبر ياجماعة هو شعر غير موزون الا بالفم .. موزون في النطق فقط لا في الكتابة كما هو الشأن في الشعر الانجليزي

صلصل : (في خبث وهو يبتسم) كأنك تعني أن هدفنا هو أن نرقى الشعر العربي الى مستوى الشعر الانجليزي ؟!

نجم : كلا كلا لو وقع هذا لكانت كارثة

صلصل : كارثة ؟ أي كارثة ؟

نجم : حين نرقى الشعر العربي الى مستوى الشعر الانجليزي

الجماعة : كيف ذلك يادكتور ؟

نجم : يا اصدقائي .. ارجو أن تفهموا جيدا ان النبر أيضا ليس كافيا وانما هو خطوة ثانية نحو الهدف

الجماعة : وما هو الهدف يادكتور ؟

نجم : بذمتكم ألا تعرفون الهدف الذي نسعى اليه ؟

الجماعة : بل نعرف قليلا ولكنا نريد منك المزيد من الايضاح

نجم : ما هي لغتنا الاصلية ؟

الجماعة : اللغة العامية

نجم : كلا .. اللغة العامية ماهي الا صورة مشوهة من اللغة الفصحى

الجماعة : عجبا لقد كنت تدعو الى اللغة العامية يادكتور ؟!

نجم : نعم على انها خطوة أيضا نحو الهدف

الجماعة : وما هو الهدف ؟

نجم : اللغة التي كان أجدادنا القدماء يتكلمون بها . تعرفون ما هي ؟

الجماعة : الهيروغليفية

نجم : برافو

نهاوند : هذا في مصر يادكتور . لكن عندنا في العراق اللغة البابلية

نجم : مضبوط .. وفي سوريا ولبنان ؟

نهاوند : الفينيقية

نجم : وفي شمال افريقيا ؟

نهاوند : البربرية

نجم : آه .. يا سلام لو اتفقت شعوب هذه البلاد واتحدت كلمتها !

صلصل : (كأنه يريد اثارته) ماذا تقول يادكتور ؟ هل انقلبت تدعونا الى الايمان بالوحدة العربية ؟

نجم : معاذ الله معاذ الله بل نريد أن نقضى على هذه الوحدة ونستأصلها من جذورها

صلصل : اذن فما شأننا وشأن هذه الشعوب العربية ؟

نجم : يجب أن نتعاون معها على التحرر من الاغلال العبودية المشتركة

صلصل : أولسنا قد تحررنا يادكتور ؟

نجم : تلك الحرية الصغرى وما تزال أمامنا الحرية الكبرى يوم نتخلص من رياح الصحراء

صلصل : تعنى السموم التي تشوينا في الصيف ؟

نجم : بل السموم التي تشوينا في الصيف وفي الشتاء وفي كل وقت ؟

سعدية : في كل وقت ؟ كيف ؟

نجم : هذه رموز يامدام

سعدية : لا يادكتور لا نريد الرموز وضحها لنا من فضلك

نجم : سأشرحها لكم ونحن على البوفيه لأن الجوع فيما يظهر قد أثر في أذهان بعضنا فصاروا لا يعون ولا يفهمون !.
البوفيه جاهز يا محسنة ؟

محسنة : جاهز من ساعتها

ابو الدبوك : تفضلو ياجماعة تفضلوا

نجم : هيا بنا ياجماعة .

(يخرج الجميع)

(يظهر عصام متسللا كأنه يخشى أن يلحظه احد حتى يقف في الطرف الأيمن من البرندة قريبا من برندة بيت عبد الواسع فيصفر صفيرا خاصا)

(تظهر زينات في برندتها على صفير عصام)

عصام : مساء الخير يا زينات

زينات : مساء الخير ماذا تريد ياعصام أسرع لئلا يرانا أحد

عصام : لا تخافي كلهم الآن على البوفيه .. خبريني يا زينات هل تحبينني حقا ؟

زينات : تبا لك يا عصام أهذا سؤال تسألني اياه ؟

عصام : اجيبي يازينات أرجوك

زينات : (في دلال) لا . لست أحبك !

عصام : لا أريد المزاح ولا الدلال أجيبي بصراحة

زينات : ان كنت تريد أن تقول لي شيئا فقله رأسا وبلا مقدمات

عصام : نعم أنا قررت أن أنفذ المشروع

زينات : أي مشروع ؟

عصام : مشروع الدكتوراه في الموضوع الذي حدثتك عنه

زينات : تريد أن تسافر الى الخارج ؟

عصام : نعم

زينات : ووالدك موافق ؟

عصام : لا .. ما رضي أن يوافق

زينات : فكيف اذن تسافر ؟

عصام : المهم ان اعرف هل تنتظرينني يازينات حتى أعود ؟

زينات : خبرني أولا كيف تسافر ؟

عصام : على حساب والدتي .. مما بقي لها من ميراث أبيها !

زينات : أليس أبوك أولى بالانفاق عليك ؟

عصام : والدي معذور . يريد هذه الايام أن يبني عمارة جديدة . انتظريني يا زينات حتى أعود ؟

زينات : مدة طويلة ؟ كم سنة ؟

عصام : مابين اربع وخمس سنين

زينات : أنا من جهتي سأنتظرك يا عصام ولو مدة أطول لكن ماما

عصام : مالها ؟

زينات : لن ترضى مني أن انتظرك . ولن تتركني حتى تزوجني لغيرك !

عصام : على غير ارادتك ؟

زينات : من يدري ؟ ربما

عصام : كلا يا زينات يجب أن تكون لك ارادة

زينات : وهل يجب علي ان اخاصم أبي وامي ؟

عصام : في وسعك أن تحتالي عليهما باللين والحسنى . قولي لهما انك تريدين أن تكملي تعليمك ؟

زينات : لن تجوز عليهما هذه الحيلة . سيدركان على الفور ان هذا كله من اجلك !

عصام : فليكن ذلك . لست أول فتاة تنتظر خطيبها حتى يعود من دراسته في الخارج

زينات : انك لا تعرف يا عصام كم تكره والدتي والدك ؟

عصام : وما شأننا نحن ؟

زينات : الود ود امي لو تزوجني لغيرك من أسرة أخرى أرقى في زعمها من أسرتك

عصام : ومع ذلك لا يستطيع أحد يا زينات أن يزوجك بالاكراه ؟ اسمعي يا زينات . هل تعجبك تصرفات والدتك ؟

زينات : لا

عصام : وهل تتمنين أن تكوني مثلها ؟

زينات : لا

عصام : أنا أيضا لا أريد ان أكون مثل أبي . نحن جيل وهم جيل . يجب ان نكون خيرا منهم في كل شيء . لايصح أن نجعلهم يسيطرون علينا. يجب أن تكون عندنا ارادة مستقلة

زينات : صه انهم عائدون الى البرندة

عصام : نكمل الحديث فيما بعد

علي احمد باكثير

أبو الحسين الجزار

٦٠٣ - ٦٧٩ هـ

بقلم: محمد جاد البنا

- ١ -

يتميز الأدب المصري في العصرين الأيوبي والمملوكي بوفرة شعراء الصنعة حتى أن مدرسة البديع التي طورها – ولا نقول ابتدعها – القاضي الفاضل ابان العصر الأيوبي الأول امتدت بأصولها العريقة في أعصاب الادب المصري لعصر المماليك وما بعده مما جعل مؤرخي الأدب لهـذه الفترة يقولون ان العصر الأيوبي والمملوكي عصر العناية بالألفاظ بل عصر العبث بها . ونحن وان كنا لا ننكر انقياد الشعراء وانصياع الأدباء للطريقة الفاضلية وتعصبهم لها وانجذابهم نحوها حتى التزموها في التاليف والنقد جميعا فاننا لانشك في أن مدرسة البديع هذه مهدت وارهصت لقيام مدرسة جديدة استطاع ان يلتقطها الشاعر المصري الذي تترجم له « أبو الحسين الجزار » وزملاء له من يد أستاذهم البهاء زهير وصديقه جمال الدين بن مطروح تلك هي مدرسة المعاني والتي كان ظهورها بمثابة ثورة جديدة في الأدب المصري الذي ظل خاضعا لعبودية اللفظ والوان البديع من تورية وجناس وسجع لمدة غير قليلة من الزمن . كذلك فاننا لا ننكر الشبه القوى الذي يكاد يصل الى حد المزج والخلط بين المدرستين «مدرسة الألفاظ ومدرسة المعاني » وقد يكون مرد ذلك الى تسلل البديع الى مدرسة البهاء وصديقه وتلاميذه فيما بعد . الا أن هذه المدرسة تميزت بأنها لم تسرف على نفسها في التزام البديع المصنوع ولم تتكلفه تكلفا كما صنعت المدرسة الفاضلية بل استطاعت أن تنهج طريقا وسطا بين المعاني المستملحة الجيدة والبديع المعتدل المقبول – من أجل ذلك كان رواد هذه المدرسة وتلاميذها أقرب الى نفوس الشعب المصري الذي جبل على حب الصراحة والوضوح – ومن هنا كانت لهم منزلة رفيعة بين كل الطبقات ولا سيما طبقة أصحاب الحرف الدنيا والتي كان يتألف منها سواد الشعب المصري في ذلك الحين . ولعل الدارس لأدب هذه الفترة تأخذه الدهشة حينما يرى من بين تلاميذ مدرسة المعاني هذه أصحاب الحرف البسيطة . فمن رجالها الجزار « شاعرنا » والوراق والخيـاط والدهان والكحال والحمامي وهكذا .

كان على شعراء هذه المدرسـة اذن وهم من سواد عين الشعب وحبة القلب فيـه وواسطة العقد منه ان يعبروا عن حاجاته ومطالبه وأن يشعروا بآلامه وآماله فأذاعوا شعر الفكاهة والنكتة وأدب المجون والألغاز ولا ننسى أن الفكاهة والنكتة من أهم مميزات الشعب المصري وبخاصة في ذلك العهد الذي ذاق فيه صنوفا من التعـذيب والوانا من الظلم فاراد أن يسرى عن نفسه بفكاهاته وملحه ومجونه وألغازه ومن ثمة عبر عنه شعراء الشعب التعبير الذي يوائم طبعه ويناسب روحه ولا غرو فقـد كان الشعراء – وما زالوا – خير السنة لشعوبهم واصدق ترجمان لعواطف امتهم .

على اننا نحب أن نقول – في هذه العجالة – ان شعراء هذه المدرسة وغيرهم من شعراء هذا العصر وان استطاعوا أن يعطونا الصورة الواضحة الحية للحالة الاجتماعية والنفسية لهـذا العصر الا أنهم عجزوا أو – غفلوا – عن اعطائنا المفهوم الثوري لنفسية الشعب المصري الذي كان ولا بد في ثورة نفسية والذي كان ولا بد يتطلع الى الخلاص من أيدى ظالميه .

كان في استطاعتهم – لو فعلوا – أن يحـركوا

النفوس الى الاصلاح الاجتماعى وأن يصفوا أمراض الشعب وأن يطبوا لهذه الأمراض ـ ولكن يبدو أن سوط المماليك كان قاسيا وعنيفا مما جعل الشعراء يؤثرون السلامة ويفضلون جانب العيش اللين السهل حينا والقاسى الشديد أحيانا على أعماق السجون أو متاهات المقابر أو ذل النفى والتشريد .

قلنا انه كان من بين شعراء هذه المدرسة ـ مدرسة المعانى ـ شاعر كان الفسطاط موضع مولده ومدرج نشأته وكان الفسطاط مرتع حياته ومكان موته . بين صوت الساطور يتنزل على الوضم فيفصل العظام عن اللحم وفى بحار من تناثر الدم القانى يضمخ جدران المذابح وتساقط الدهن على أكتاف أهله وذويه . ولد أبو الحسين (جمال الدين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى المصرى الشاعر) عام ٦٠٣ هـ فى زمن احتضار دولة الأيوبيين وانتقالها الى المماليك. ولندع صاحب المنهل الصافى «جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى» يحدثنا عن ظروف نشأته وتفجر أول ينابيع شعره العذب. «لما كان صغيرا نظم أبياتا قلائل وكان أديب الزمان اذ ذاك ابن أبى الأصبع فأخذه أبوه وتوجه اليه وقال : ـ ياسيدى قد نظم هذا الولد شعرا واشتهى أن يعرضه عليك .. فقال «قل» فلما أنشده قال : ـ «أحسنت والله انك عوام مليح» وبعد أيام عمل والده طعاما وحمله الى ابن الاصبع فقال : ـ « لأى شىء فعلت ؟ » فقال «لشكرك ولد المملوك » فقال « أنا ما شكرته » فقال « الم تقل أنك عوام مليح » فقال : ـ « ما اريد بذلك الا أنه خرج من بحر الى بحر » ـ ولكن هذا لم يثن عزيمة الشاعر الشاب فانطلق يبارز الأوزان ويغوص فى البحور حتى استقام له القصيد وطاوعته القافية الى أن عد بين شعراء مدرسة المعانى بالفرد العلم وما نحسب أنه ذهب بعدها الى معلم او كتاب ولا نظن أنه تنقل بين «خانقات» عصره بل هو قد تلقى العلم مشافهة وسماعا من أصحابه الادباء والعلماء والشعراء حتى صار بينهم العلم الذى اليه الاشارة كما يقول « ابن سعيد » ولقد حدثنا هو عن هذا الطور من حياته فى قصيدة يمدح بها برهان الدين بن الفقيه نصر .

وان الشعر دون علاه قدرا
ولا سيما اذا ما كان شعرى

لأنى ما قرأت نه صحاحا
ولا نحوا على الشيخ ابن برى

وقد شاركت فى لغة ونحو
بلا علم وشاع بذاك ذكرى

وعيشك لست أدرى ما طحاها
وقد اقررت أنى لست أدرى

لأنى مثل بعض الناس لما
تعلم آيتين فصار مقرى

وهذا رأيه فى نفسه وتصويره لعلمه على أنى اعتقد أنه يغالى فى هذا التصوير من باب الظرف والفكاهة كما كان يغالى فى وصف بؤسه وشقائه .. مما ستتعرض له فى موطنه الا أن الذى نحب أن ننبه اليه أنه كان على قدر لا ينكر من ثقافة عصره حتى أنه يتعرض لدقائق من الثقافات تدل على غزير اطلاعه. واتساع افقه فهو يقول من قصيدة يصف فيها حاله اذا أقبل الشتاء :

شنع الناس أننى جاهلى
مانوى وما لهم أهواء

أخذونى بظاهرى اذ رأونى
عبد شمس تسوؤه الظلماء

والمانويه ـ كما هو معلوم ـ مذهب منسوب الى مانى، يقول أصحابه ان الخير من النهار والشر من الليل وقد تحدى هذا المذهب أبو الطيب المتنبى بقوله :

وكم لظلام الليل عندى من يد
تخبر أن المانوية تكذب

لم يكن أبو الحسين الجزار هو أول «حرفى» اجتذبه الأدب الى رحابه أو ضمه الشعر الى هيكله . فذلك هو سحر الفن فى كل زمن وفى كل وطن فمن قبل أخذ الأدب الى رحابه الملك والوزير والأمير ومن بعد ضم الشعر الى لوائه القائد والمهندس والطبيب ولكن البدع فى ذلك أن يجذب الشعر أبا الحسين من بين

الجزارين ثم يظل متعلقا بمهنته هذه يحن اليها من حين الى حين بل ويجعلها قوالب يصوغ فيها أغلب شعره مفتخرا بها منتصرا لها .

أعجب العجب فى ذلك أن يبرز شاعر رقيق يمتاز بالشاعرية الأصيلة والدقة البالغة والسهولة الرائعة وسط بحار الدماء التى تموج حوله متفجرة من وجق ضحيته التى يعمل فى أعضائها السكين وكأنه مبضع الجراح لاقلم الشاعر .

ولو حدثنا رواة التاريخ والسير فقالوا أنه استبدل مبضع الجراح بالساطور فاتخذ مقعد الطبيب الحاذق بدلا من الوضم ومجموعة المدى . لما اخذتنا الدهشة ولما ملكنا العجب . أما أننا نستمع اليه ملء سمع الزمان والتاريخ يردد فى حنن عجيب يقول :

سر القلوب تذيعه الأجفان
هيهات ينفع مغرما كتمان

طرف المحب فم يذاع به الهوى
والدمع ان صمت اللسان لسان

تبكى الجفون على الكرى فاعجب لمن
تبكى عليه اذا نأى الأوطان

فهذا ما نعجب له لأنه يأخذ بالدهشة من البابها . ما علاقة الأدب بالدماء القانية ؟ وما صلة الشعر بالجزارة وحز العظام ؟ وكلاهما فى تناقض غريب وتباين قوى ـ ورغم ذلك العجب فاننا لا نزعم أن ملكة الشعر وشياطين الفن وقف على من ثقفوا الأدب ودرسوا التاريخ وفقهوا اللغة وحدهم وانما هى ارث مشاع بين من هضم اللغة وأسرارها وتفهم الأدب ومذاهبه وبين العوام الذين لم يتلقوا علما ولم ينالوا ثقافة . ففى كل عصر نستمع الى المعانى البكر بين المواويل والأزجال التى توفر على صنعها شعراء مجهولون أغلب الظن أنهم من أبناء العوام الا أن التاريخ الأدبى لم يع فى خزائنه ـ على تنوعها ـ أمثال هذه الخرائد الرقيقات التى وعاها لشاعرنا الجزار . أليس هو القائل :

كيف حالت بعد الوفاء عهوده
وتمادى هجرانه وصدوده

وأمالته للوشاة ظنون
يبدىء الغدر وهمها ويعيده

الى آخر هذه القصيدة الرائعة الممتعة . وفيها اشارة الى شكواه من الزمن :

لا تسلنى عن الزمان فانى
قد بدت لى أضغانه وحقوده

زمن لان عطفه عند غيرى
وهو عندى صعب المراس شديده

على أننا لا نجد مفرا من العودة الى عبد الملك ابن سعيد ذلكم الرحالة الذى جاب الآفاق بحثا عن تلقى الحقيقة من مظانها الاصلية . يقول فى ترجمته لأبى الحسين الجزار فى مطلع الجزء الرابع الذى انفرد بوصفه من كتاب « المغرب فى حلى أهل المغرب » .

« ختمت به شعراء الفسطاط ليكون الختام بمسك وان كان بينهم فى هذا العصر بمنزله الواسطه من العقد . كان ابوه وأقاربه جزارين بالفسطاط .. دكاكينهم بها الى الان (٦٤٦ هـ) وقد عاينتها وأبصرته معهم بها . وكان فى أول أمره قصابا مثل أبيه وقومه فحام على الأدب وأكثر حوله من حومه فرفعت له فى القريض راية تقدم بها جماعة من أهل عصره . ورزق من حسن الاهتداء لغرائب المعانى وبدائع الألفاظ مايدل على غوص فكره . وطريقه من أسهل الطرق التى يميل اليها العامة ولا ينكرها الخاصة لقرب مأخذها وحسن منزعها . وقد اجتمعت به غير مرة فى أماكن اضطرته الى الارتجال فالفيته متعلقا بأزرار الفنون ـ غير راض الا بأرفعها يفيض خاطره كالعارض المتراكم ويطلع فكره من غرر المعانى بما يطلع به الصباح القادم ولم يزل ذلك دأبه فى فى بلده حتى أخذ علو الطبقة بيده فصار العلم الذى اليه الاشارة » .

ومن هنا نرى أن أبا الحسين صار بعد مدة وجيزة الشاعر الذى يشار اليه وينظر نحوه من بين شعراء عصره . حتى شغف به العامة والخاصة على السواء اما شغف العامة به فلذلك موضعه من الدراسة . واما شغف الخاصة به فمرد ذلك لحسن حديثه وخفة روحه وجميل نكتته وظريف نادرته وطيبة قلبه وسماحته وعفوه وفيض يده . مما جعل أكثرهم يساجله الحديث ويناقله النادرة ويناظره النكتة . وكان بينه وبين كثيرمنهم مناظرات ومساجلات حفلت بها كتب الأدب ووعت لنا منها بين بطونها الكثير .

قالوا .. كان الصاحب كمال الدين عمر بن العديم

اذا قدم مصر تردد اليه أبو الحسين وتردد هو الى أبى الحسين ولازمه فحسده بعض أعدائه على ذلك وقال فيه بعضهم :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة
وغـدوت تحـمـل راية الادبار

ما أن رأيت ولا سـمعت بمثلهـا
تيـسـا يلوذ بصـحبة الجزار

كذلك كان مما قربه اليهم وجذبهم نحوه أنه كان عفيفا مترفعا عن الهجاء على كثرة حساده وشانئيه وما بانهم لا يغبطونه بل ويحسـدونه ويضمرون له السوء ولم يكن بينهم من يقاربه في جودة النظم وتدفق الشاعرية وجمال المعنى واناقة اللفظ ويكفيه أن أحد مؤرخيه ـ « ابن تغرى بردى » فى النجوم الزاهرة يقول عنه (أنه كان من محاسن الدنيا) نقول ـ على الرغم من حسدهم له وتقلبهم عليه كان يفيض عليهم من كرمه ويبذل لهم من نواله مما جعلهم يلفون اليه بالمودة عن يد وهم صاغرون ـ ولقـد تتبعت شعره ـ الذى اورده ابن سعيد فلم أوفق فى الحصول على ديوانه المخطوط ـ فى الهجاء فوجدته نادرا بجانب شعره فى الأغراض الأخرى كالمـديح والشـكوى والدعابة والفكاهة • وبعد • فقد عاش الجزار ومات وهو حر التفـكير والرأى منطلق الضمير والوجدان يوجه أدبه حيث يريد ويمنحه من يشاء كيف شاء • لم يستغل موهبته الأدبيـة أمير أو وزير أو سلطان بل كان الطائر الفريد فليس له من المناصب ما يخشى عليه أو يخاف من أجله من ثمة لم يتضاءل بشاعريته أمام هيكل من الهيـاكل التى كان غيره من الشـعراء يتضاءلون أمامها •

فلقد خلق شاعرا بالطبع لا بالصنعة واديبا بالفعل لا بالقوة • لم يلق بالا للألقاب العلمية ولا للشارات الرسمية بل حاول ما اسـتطاع أن يسد حاجته وأن يطلب لقمة العيش بدموع قلمه وأنات ساطوره بعيدا عن زيف التهريج ودجل السياسة ولو طلبها لتوفرت له • فلقد عاش فى زمن يتطلع فيه أغلب أهل الأدب ـ كل على شاكلته ـ الى لقب براق أو جاه خفاق أو ثروة يحتسب من أهلها •

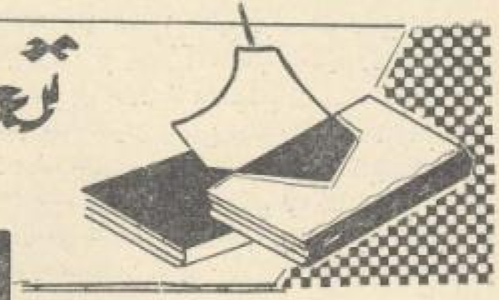
ولـكن أبا الحسين عاش ومات وليس له من اللقب نصيب ولا من الجـاه ذكر ولم يكن كذلك من الثروة المادية ما يجعلنا نحتسبه من أهلها وانما عاش فقيرا فى عفـاف أو عفيفـا فى فقر ، ولا يعيبـه أنه طلب التكسب بشعره فذلك ارتفاع بقدر فنه وسمو رسالته معتبرا الشعر والأدب رسالة لا يعيب اصحابها أن يطلبوا العيش الرغيد والحياة الطليقة ما داموا هيئوا بفطرتهم لذلك • بل لقـد خلص أبو الحسـين بأدبه للأدب فمنح شعره من أراد كيف اراد حتى ولو كان حماره فلقد حدثنا الصفدى فى « شرح لامية العجم » فقـال « حكى لى بعض الأفاضل أنه جمع فى مراثى حمار أبى الحسين مجلدة ضخمة » •

ولا شك أن شاعرا كهذا يمنح شعره لحماره ـ فى حين يبخل به على غير أهله ـ يجعلنا نطمئن الى العراقة فى الذاتيـة وبعده البعـد كله عن التـكلف الممقوت والتهريج الرخيص •

« محمد جاد البنا »



تعقيبات



بقلم : عباس خضر

خطاب مفتوح الى الزميل عباس خضر

تلقيت الرسالة الآتية بهذا العنوان ، وانشرها بنصها كاملا ، تحقيقا لحرية النقد ، ثم اعقب عليها :

عزيزي الاستاذ عباس خضر .. تحية وبعد

فقد قرات مقالك عن «الفلاح في القصة» ـ (الرسالة ٧٤) فاعجبني كثيرا ، غير انى اثناء مطالعتي المقال وقفت عند بعض الفقرات فخيل الى انني قراتها من قبل ، وحاولت ان اتذكر اين قراتها فحملتني ذاكرتي الى كتاب الاستاذ يحيى حقى «فجر القصة المصرية» وعندما رجعت اليه وقارنت ماجاء عندك في بعض الفقرات بما كتبه الاستاذ يحى حقى وجدت انك احيانا كنت تنقل عنه المضمون مع الالتزام بترتيب الافكار كما هى عنده دون تقديم او تاخير او تغيير مع استبدال بعض الكلمات بمرادفات لها نفس مدلول الكلمات التى استبدلت ، كما وجدت انك احيانا اخرى كنت تنقل عنه نقلا حرفيا دون تحريف او تبديل ـ ولست ارى فى هذا مايشين باحثا عندما يعتمد على من سبقه من كبار الادباء والنقاد بل انى احترم كل كاتب يحاول ان يدعم رايه بآراء غيره أو ان يبدأ من حيث انتهوا فيجعل من اراء الآخرين دعامة يستند اليها في انطلاقاته الى آفاق ابعد ولكن على ان يلتزم فى ذلك الامانة الادبية التىتحتم على الكاتب ان يشير الى مواضع النقل وان ينسب كل راى الى صاحبه لا ان ينسبه الى نفسه باغفاله الاشارة الى انه راى منقول عن كاتب معين .

صدقنى اننى تملكتنى الدهشة عندما وجدت انك قد نقلت عن الاستاذ يحى حقى نقلا حرفيا دون ان تشير الى ذلك خاصة واني عندما رجعت الى بعض كتاباتك السابقة وجدت انك كثيرا ماتنصب نقادا من شبان مبتدئين لاتعرف عن معظمهم شيئا بينما ـ لسبب يعلمه الله ـ تتجاهل الاستاذ يحى حقى وتتغافله تماما سواء في مجال الادب او النقد ، فهل لى ان ازعم ان هذا الامر جاء عفو الخاطر ام ان وراء ذلك أسبابا نجهلها ؟! ارجو أن تعلل لنا هذا الامر ولك جزيل شكرى ولكى اكفيك عناء البحث من جديد اسوق اليك بعض الفقرات التى وجدت انك قد التزمت فيها المضمون التزاما دقيقا مع المحافظة على ترتيب الافكار دون تقديم أو تأخير مع تغيير فى بعض الالفاظ ، وبعض الفقرات الاخرى التى وجدت انك قد نقلتها نقلا حرفيا كما هى .

جاء فى مقالك (ص ٣) عن قصة «مأساة قروية » لعيسى عبيد :

«وتدور على حادث فتاة من القرية كانت تحب ابن عمها وهو يحبها ، ثم تعلقت بابن الباشا مالك الارض واحبته واعرضت عن ابن عمها ، اذ جذبها فى الفتى الارستقراطى رقة حديثه وتلطفه معها ، وظنت انه سينقذها من حياة الفقر التى تعيشها مع اهلها ، اما هو فلم يكن الا طامعا في جسدها» .

وجاء في كتاب يحى حقى ص ١١٠

«وهى تحكى ايضا قصة فتاة قروية يحبها ابن عمها ، ولكنها تبتعد عنه وتستسلم مختارة الى ابن صاحب الارض ، كانت قد وجدت عنده فى طفولتها شيئا لم تألفه ، هو رقة الحديث والتودد اليها . ثم خالت فيما بعد انها تجد بين احضانه خلاصا من حياتها الضائعة في الفقر والمهانة . اما الشاب فلا يدفعه نحوها سوى شهوته البهيمية» .

كذلك جاء فى مقالك ص ٤

«ولعل عيسى عبيد اول من استخدم الرمز

عندنا في القصص لتصوير الحادث الذي يعالجه بطريقة واقعية وتعزيز التعبير عنها ، ذلك انه عندما كان ابن الباشا يفرس الفتاة هبطت حداة بقوة على شجرة التوت التى تظللهما حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر وكان يسمع له انين ضعيف مختوق ولم تكد تستقر على احد اغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة فتعلق على غصن يحاذيه ولبث فى مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصمها فلم تعره أدنى أهمية وواصلت ببطء فى التهام فريستها الصغيرة ... الخ» .

وقد وجدت في كتاب الاستاذ يحى حقى ص ١١٣

«وازعم ايضا ان هذه القصة هى من اوائل القصص المصرية التى عمد المؤلف فيها الى استغلال رمز خارجي لاضفاء قوة على التعبير عن الحادثة ، ففي الوقت الذى يفترس فيه الشاب ضحيته اذا بحداة هبطت بقوة على شجرة التوت التى تظللها حاملة بين مخالبها كتكوتا يحتضر ، وكان يسمع له انين ضعيف مختوق ولم تكد تستقر على احد اغصانها حتى لحق بها غراب منقادا بحاسة الشم القوية الخاصة بالطيور الجارحة فتعلق على غصن يحاذيها ولبث في مكانه يراقبها بخوف وجبن وهو ينعق بكل قواه وكان الحداة كانت واثقة من قوتها وتفوقها على خصمها ، فلم تعره ادنى اهمية وواصلت فى بطء التهام فريستها الصغيرة .

كذلك وجدت نقلا بارعا فيه محاولة لاخفاء هذا النقل فى الفقرة التى كتبتها عن محمود طاهر لاشين فى مجموعته «يحكى ان» عندما قلت عن قصة (حديث القرية) انها :

«قصة جيدة تهدف الى تصوير حال القرية المصرية وما يعيش فيه اهلها من فقر وما هم عليه من جهل ، والى ان الطريق الى تخلصهم مما هم فيه هو أن يتسلحوا بالارادة والعمل ، وأن يشعروا بوجودهم ويصروا على تحقيق هذا الوجود . قدم لنا فيها شخصية «مأذون القرية» الذى يضلل القوم ويبث فيهم افكارا مختلفة لاتتفق مع حقائق الدين ، ويناقشه راوى القصة ويتحدث الى القوم فيصارحهم بشظف عيشهم ، ويبين لهم طريق الاصلاح . ولكن حين يتاهب المأذون للقيام بدعوى ان حضرة العمدة وكثيرا من الاعيان في انتظاره يقبل عليه — على المأذون — الفلاحون بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر ...» وتختتم القصة بهذا الختام الرمزى الذى يعبر عن الموقف كله اذ يقول الراوى: «وآثرنا البقاء — صديقى وانا — فتركوا لنا المصباح وقنعوا بان يتبعوا فقيههم فى الظلام» .

وقد وجدت عن محمود طاهر لاشين عند يحى حقى ص ٩٣ ، ٩٨

« فاندفع الرواى الى دحض ترهاته وتهشيم اباطيله فصارح الفلاحين بحقارة شانهم وشظف عيشهم ، وذكر لهم نساءهم واولادهم واكواخهم ورسم لهم طريق الصلاح اذا ارادوا ، وذلك بخلق الارادة والعمل ، وانهم يستطيعون ان ياتوا العجب العجاب اذا شعروا بوجودهم وصمموا على تبرير هذا الوجود .... وتأهب (المأذون) للقيام بدعوى ان حضرة العمدة وكثيرا من الاعيان فى انتظاره ،

فاقبل عليه الفلاحون بنفوس مطمئنة راضية يقبلون يده ويحمدون الله على نعمة الستر . وبقى الراوى وصديقه ، تركوا لهما المصباح وقنعوا بان يتبعوا فقيههم في الظلام ... ثم انظر ايضا الى التجاء الكاتب الى الرمز فى ربطه بين ضوء القمر وانكشاف بصيرة الرجل ، والرمز البارع فى نهاية القصة حين ترك الفلاحين يسيرون وراء فقيههم في الظلام انه كلام مادى وروحى معا ..»

❋ ❋ ❋

واخيرا فليس فى النقل مايشين الكاتب ولكن على ان ينبه القارىء الى ذلك ، فاذا تركنا مسالة النقل جانبا وجدنا ان ثمة حقيقة هى ان يحى حقى كان اول من اماط اللثام عن استخدام محمود طاهر لاشين وعيسى عبيد للرمز في قصصهم وان الامانة الادبية كانت تحتم عليك ان تشير الى ذلك عندما تحدثت عن الرمز .

امل ان تبرر لنا هذا التصرف وان تنشر هذه الكلمة فى مجلتكم الغراء وتقبل تحياتى .

« كما ممدوح حمدى »

نقل الكاتب من مقالى الفقرة الخاصة بالحديث عن قصة عيسى عبيد ، وقارنها بما جاء في كتاب «فجر القصة المصرية» عن هذه القصة ، ولم يرجع الى القصة نفسها **ولو فعل لوجد اننا يحيى**

حقى وانا – نقلنا عنها النص الخاص بالحادثة الرمزية الخاصة بالحداة والكتكوت . نقل كلانا النص بحذافيره ، فاشتبه الامر على الاستاذ كمال محمود حمدى ، فزعم انى نقلت عن الاستاذ يحى حقى نقلا حرفيا ..

اما الفقرتان الخاصتان بتلخيص القصة فطبيعى ان تجيئا متشابهتين ، على ان فيهما ايضا كلمات من أصل القصة .

وكذلك الحديث عن موضوع قصة طاهر لاشين وتلخيص حوادثها فليس فى الامر «براعة» .. انما هو كما يقول احد : طلعت الشمس ، ثم يرى آخر نفس المنظر فيقول : بزغت الشمس ..

واضرب مثلا مشابها ، قال الاستاذ يحى حقى في كتاب «فجر القصة المصرية» – ص ٦٩ – بصدد الحديث عن الشقيقين محمد تيمور ومحمود تيمور : «**وحمل محمود تيمور المشعل الذى سقط من يد اخيه ، وسار على نهجه**».

وقال الدكتور شوقى ضيف فى نفس الصدد بكتابه «الادب العربى المعاصر في مصر» – ص ٣٠١ – «وبموت محمد فى شرخ شبابه سنة ١٩٢١ فلا **تهوى الراية من يده ، بل يتسلمها منه محمود ، ليتم ما بداه**».

فلو جرينا على نهج الاخ كمال محمود حمدى لقلنا ان احد المؤلفين نقل عن الآخر ببراعة ، فالدكتور شوقى ضيف مثلا استبدل بالمشعل الراية .. او ان الاستاذ يحيى حقى فعل العكس .. على حسب السبق بينهما فى الزمن ..

والمحقق ان احدا منهما لم ينقل عن الآخر ، انما هو تعبير عن مضمون واحد لابد ان يتشبه في الشكل .

متى يجب على الباحث ان يذكر او يشير الى ماكتب قبله في الموضوع ؟ اذا نقل النص حرفيا ، او كان المضمون رأيا خاصا يتميز به الكاتب الاول ، وليس كلاما عاما يطرقه هذا وذاك ، كما فى كلام الاستاذ يحيى حقى وكلامى عن موضوع القصص التى تناولناها ، وتلخيص حوادثها . فليس ثمة افكار خاصة اخذتها من كتاب فجر القصة المصرية انما هى ملاحظ عامة يدركها قارىء القصص نفسها حتى مسالة الرمز ، فهى ظاهرة ، لاتحتاج الى ان يقال ان من اشار اليها اولا : انه «اول من 'ماط اللثام ... الخ» **على اننى لا اغمط الاستاذ يحيى حقى في كشفه عن هذه الحقيقة ، وارى – مع ماذكرته من ظهورها لاى قارىء متفطن – انه كان يحسن بى ان اشير اليه فى هذه النقطة .**

وعلى ذلك ينهار **القصر الكبير** الذى بناه الاخ كمال محمود حمدى على رمل اتهامى بتجاهل الاستاذ يحيى حقى والتغافل عنه فى مجال الادب والنقد ، وليريح نفسه من عناء البحث عن اسباب لاوجود لها ، فانا من اكثر الناس تقديرا للاستاذ يحيى حقى ، واذكره واشير اليه كثيرا فيما اكتب ، سواء فى المقالات او فى بعض كتبى ، واعطيه ماهو اهل من التقدير ، واعتقد ان من تقديره ان اناقشه واخالفه الرأى كما فعلت في بعض ماكتبت وخاصة في كتابى «القصة القصيرة فى مصر» الذى يطبع الآن .

ولعل الاخ كمال محمود حمدى قرأ مقالى في العدد الماضى من الرسالة عن عيد ميلاد الاستاذ يحيى حقى . ولا اظنه قرأ المقدمة التى كتبتها لكتاب «احسان هانم» لعيسى عبيد ، الذى نشره المجلس الاعلى للفنون والآداب فى سلسلة «المكتبة العربية» .

قلت في تلك المقدمة : «**واية كتابة عن عيسى عبيد – ينبغى ان تبدا من حيث ماكتب عنه يحيى حقى**» .

وبعد فاشكر الاستاذ كمال محمود حمدى لغيرته على الاستاذ يحيى حقى . **واذا كان قد تصدى للدفاع عنه ضدى فانى فى صف الدفاع لا فى صف الضد .. ولا اقل عنه حبا لاديبنا الكبير ، وتقديرا لدوره العظيم في حياتنا الادبية .**

عباس خضر

حول أدب شيء

بقلم عبده بدوي

لقاء مع مفكر

لا أعرف مفكرا ينطبق ما يكتبه على سلوكه مثلما ينطبق عليه ، فانه اذا كان يجذب القارىء جذبا من المناطق الرخوة فى الفكر ، ثم يحاصره ، ويهزه ، ويزرع فى نفسه الفكرة بعد الفكرة والدليل بعد الدليل ٠٠ فانه لا يخرج فى هذا أو فى كثير منه مع محدثه ، اذ يبدو قريبا منه ، وقد يأخذ معه فى الثرثرة ولكنه سرعان مايحول الثرثرة الى قضايا ، ويجعل فنجان القهوة يهتز فى يد الجالس اليه كأنه يفكر هو الآخر ، أو كأن حركة النشاط العقلى قد امتدت الى اليد التى تمسك به ، وفى ضوء هذا تتغير أشياء كثيرة فتذبل الابتسامات التقليدية ، وتتغير وظيفة الصالون بل قد تذكر تدريجيا بمدرج فى الجامعة ، وحتى الورود التى كانت تحلم فى الزهرية سرعان ـ **فى وهج الحديث** ـ ما تفيق وتمد اعناقها ولا تقدم هذا العبير الازرق او الابيض او الاصفر ، وانما تقدم شيئا جديدا لم تكن له تلك النعومة والشاعرية التى كانت تملأ المكان من قبل٠٠

فاذا ما أحب الانسان أن يريح فكره ـ ولو لحظة ـ على ستارة ، او تحفة ، او على الرماد الطويل المحترق الذى مازال فى مقدمة السيجارة ، لم يستطع أو يخيل اليه أنه لا يستطيع لأن كل شىء من الاشياء التى حوله تعانى من نفس الاحساس الذى يعانى منه ، وتنتظر هى الاخرى لحظة لتستريح ، ولكن انتظارها طويل ٠٠ طويل !

ولعل هذا الشعور قد تملكنى لأن معرفتى الشخصية به قد تولدت من خلال اللجان الاولى للتفرغ والتحضير للائحته ، والتى كنت اسميها لجان الحرب ، لانه كانت لاتخلو جلسة من الصراع بين المدارس فى الفن الواحد ، وبين الفنون التعبيرية والتشكيلية ، ثم أخيرا بين افكار العقاد وطه حسين ٠

وفى هذه الجلسات ذهب عنى ماكان يتردد من ان الدكتور زكى نجيب محمود كان يوافق العقاد على « طول الخط » فالاقرب الى الصدق أن يقال ان منهج الدكتور زكى نجيب محمود ، كان اقرب الى منهج العقاد من غيره ، وانهما حين كانا يختلفان كان يبقى دائما « شىء » يمكن ان يتلاقيا عنده ، بل انى أذكر أنهما تلاحما مرة الى حد ضاق به العقاد حين دار الحديث حول تفرغ أحد أساتذة الفلسفة !

ومن هذه الجلسات العديدة عرفت فيه الحرص على

المواعيد ، والتتبع لكافة القضايا الفكرية ، وعدم الادلال بما يعرفه على أحد ، والامساك في أول الامر بخيط رفيع من المناقشة ثم الوصول منه الى كل ما يريد ، والبعد عن القضايا الصغيرة ، والشخصية، والاهتمام المغرض بالمسئولين ، وهكذا كان يمثل في نظري المثال الكامل للأستاذ الجامعي ، واذكر أنه في هذه الفترة عرض عليه منصب مغر في مقابل أن يترك وظيفة « الاستاذ المساعد » ، ولكنه رفض ، بل لقد انزعج حين حدث في هذا الشأن !

ومهما يكن من شيء فقد أتيح لي معه لقاء تحدثنا فيه كثيرا هذا الحديث الذي سبق أن تكلمت عنه ، ولكن حين طلبت منه الحديث عن نفسه أصابه شيء من الحرج ، وقبل أن يرفع وجهه من اطراقة قصيرة كنت أقول له :

« ما قصتك مع الفكر ؟ »

ولم يضيع وقتا ، وانما خيل الى انه يبتسم ثم قال لي :

لقد لبثت أعواما طوالا احس الرغبة في التعبير بغض النظر عن الموضوع الذي أتخذه مادة للعبارة كانما كنت اشعر بالنشوة لمجرد اني قادر على الكتابة واني لأذكر موقفا في طفولتي الباكرة ، وما احسبني عندئذ كنت قد جاوزت العاشرة ، حين دعيت الاسرة الى « فرح » فطلبت من أبي أن يتوسط لي عند اهل العروسين أن يتيحوا لي فرصة القول لألقي فيهم خطبة أعددتها لتلك المناسبة ، وهكذا بدأ حب الكتابة عندي منذ سن باكرة ، ونترك الاعوام تمضي بأحداثها الثقافية الصغيرة لنصل الى أيام الشباب ، وها هنا كانت تشغل أذهاننا كتابات طه حسين والعقاد وهيكل والمازني وبقية هذه الفئة الرائدة ، ولو لخصت لك مدار حبي أو نفوري مما كنت اقرؤه لهؤلاء وغيرهم ، لقلت ان ذلك المدار هو الرغبة في العثور على الافكار الثورية التي تغير الاوضاع التي كانت قائمة عندئذ تغييرا كاملا شاملا : فيكفي أن تكون الفكرة « جديدة » لتلقى عندي كل قبول وترحاب .

ثم نترك السنوات تمضي الى ما بعد التخرج ، وتصدر مجلة الرسالة القديمة وبعدها بسنوات قلائل تصدر شقيقتها مجلة الثقافة القديمة ، وكان ذلك في الثلاثينات ـ فالقيت بنفسي في ميدان الكتابة حبا في الكتابة لذاتها ، لاني لاذكر اني عندئذ كنت قد اتخذت لنفسي عقيدة فكرية تحدد اتجاهي ، فكل فكرة وأي فكرة صالحة عندي للقبول والعرض ، ولما كانت مصادري جميعها أوروبية ،فقد جاءت الافكار كلها التي عرضتها في مقالاتي عندئذ افكارا مستمدة من الثقافة الاوروبية .

وحين يصل الى هذا أراني أذكر تلك « الشركة الثقافية » التي تمت بينه وبين الاستاذ أحمد أمين ، فأقول له .

« ما قصتك مع أحمد أمين » ؟

وقبل أن التقط نفسي رأيته يكمل :

في سنة ١٩٣٤ تشرفت بلقاء المرحوم الاستاذ أحمد أمين ، وكان ذلك على اثر مقالات كثيرة نشرتها في مجلة الرسالة ، فعرض علي أن نتعاون في اخراج سلسلة في تاريخ الفلسفة من اليونان الى المحدثين ، فماذا تكون الوسيلة الى التنفيذ أمام كاتب شاب مازال في مرحلة حب الكتابة لذاتها سوى أن يقع على كتابين : أحدهما في الفلسفة اليونانية والآخر في الفلسفة الحديثة ، فيجعل من مادتهما مصدره الذي ينقل عنه . يضيف اليه جزءا هنا او جزءا هناك من مصادر أخرى ، لكنهما كانا هما المصدر . ومدى القدرة عند الكاتب الشاب هو أن يحسن الفهم ثم يحسن العرض ، واحب للقارىء اليوم أن يتنبه الى أن « قصة الفلسفة اليونانية » (١٩٣٥) وقصة الفلسفة الحديثة (١٩٣٦) كادا أن يكونا أول كتب تصدر في ميدان الفلسفة بالعربية الحديثة واني لأقول الآن بالفخر، ان ذلك الكاتب الشاب قد كان له الفضل في صياغة عشرات من المصطلحات الفلسفية الحديثة لاول مرة في اللغة العربية المعاصرة وقد أصبحت هذه المصطلحات مادة جارية على أقلام المشتغلين بالفلسفة الآن ، دون أن يذكر لصاحبها لأول فضل صياغتها .

وقد جاء هذان الكتابان أول ما أخرجت من كتب ولقيا من حسن القبول وسعة الانتشار ما شجع الاستاذ احمد امين على أن يمضي معي في هذه الشركة الثقافية ـ كما تقول ـ فاخرجنا معا « قصة الادب في العالم » ، وها هنا وجد الكاتب الذي خرج من سن الشباب عندئذ الى مابعدها ، لكن المزاج والتكوين كانا ما يزالان على حالهما القديم ، أعني أن يكون مدى قدرته هو أن يكتب حبا في الكتابة ذاتها ، أقول ان في « قصة الأدب في العالم » ـ وهو أربعة أجزاء ـ وجد الكاتب مجالا أوسع من المجال في « قصة الفلسفة » ، أن يصوغ عبارته صياغة أدبية تناسب الموضوع ، والله يعلم كم قضيت في هذا الكتاب من جهود ، لانني وان كنت هنا كذلك قد اتخذت كتابين أساسيين لأجعلهما مصدرا التزمه في خطة السير ، الا انني كنت ارجع كذلك الى كتب أخرى كثيرة ، وبخاصة كتب الآثار الأدبية نفسها ، لأختار القطع التي اترجمها الى العربية بحيث تحتفظ

بجمالها فى الترجمة العربية ، اذ ما كل قطعة أدبية تصلح لذلك .

وحين التفت الى وجهه وصوته معا ، يحس انى أريد أن أقول شيئا فيتوقف ، وأرانى أقول له :

« ما قصتك مع الوضعية المنطقية التى أصبحت علما عليها فى بلادنا ؟ »

ويخيل الى أن شيئا من الرضا قد كسا وجهه ويكمل من نفس «الطبقة الصوتية» وكأنى لم اقاطعه:

بينما أنا فى غمرة هذا الكتاب الذى حدثتك عنه سافرت الى انجلترا لأدرس الفلسفة فى جامعة لندن، وهنا ، وبمحض المصادفة ، لا نتيجة مترتبة على الدراسة نفسها ، وقعت على بعض ما يكتبه رجال الوضعية المنطقية ، فما كدت اقرأ حتى وجدت طبيعتى كلها قد تعلقت بها كأنها ظلت قبل ذلك تبحث عن هذا الغذاء الفكرى الذى يلائم كيانها .

وتستطيع أن تقول ان الوضعية المنطقية ليست «فلسفة» بالمعنى الايجابى لهذه الكلمة؛ لكنها «منهج» فى « فهم العبارات اللغوية » بغض النظر عن «مادة» تلك العبارات ، فكيف « أفهم » العبارة المعينة بحيث احكم عليها بقيام معنى لها أو بخلوها من المعنى ؟ .. ان مهمتها هى كمهمة « الصيرفى » فى المصارف ، لا يملك المال ، ولكنه خبير فى تمييز الاصيل من الزائف .

وسرعان ما تبين لى أنه اذا كانت الدنيا كلها تحتاج الى هذا الضابط المنطقى فى كلامها ، فنحن احوج اليه من سوانا ، لأننى كنت ادرك دائما مدى الاستهانة بالضبط فى كلامنا ، حتى الكلام العلمى نفسه ، وكنت أقيس ذلك بمقياس بسيط ، وهو صعوبة أن نترجم ما يكتبه كاتبونا الى اللغات «الاوروبية» لكون هؤلاء الكتاب يكتبون الفاظا لاتحمل معنى فى كثير من الاحيان .

فلما عدت الى مصر ، وبدأت عملى بالجامعة ، شاءت المصادفات أيضا أن يقال لى : ليس عندنا «مادة» فلسفية خالية من أستاذ يتولاها الا مادة المنطق ، وهى مادة ـ كما قد يعلم القارىء ـ يفر منها كثيرون حتى من أساتذة الفلسفة ، فقبلت بالطبع ما فرض على ، ولم ألبث أن وجدتها فرصة سانحة لأبدأ بتطبيق ذلك « المنهج المنطقى » الذى سرى فى دمائى أثناء مقامى فى انجلترا (ولم يكن يومها بين أساتذة الفلسفة فى انجلترا نفسها من يشغل نفسه به) ثم ما هو الا ان الفت كتابى «المنطق الوضعى» الذى أردت به أن انظر الى موضوعات المنطق هذه النظرة التى تستخدم التحليلات الجديدة فى فهم الكلام العلمى ، واظنها محاولة اولى لم يسبقنى اليها أحد فى العالم الاوروبى أو الامريكى ، وانا اقول ذلك ردا على كثيرين ممن يسرعون الى اتهامنا بالنقل الاعمى عن سوانا ، لأؤكد لهم ان النقل هنا كان نقلا بصيرا واعيا .

والحق انى لأعجب عجبا شديدا اليوم كلما قرأت شيئا لمن يعارضنى فى اتخاذ هذا « المنهج » أداة للفهم ، لاننى الاحظ أن هؤلاء المعارضين يحسبون انه منهج يؤيد أو يعارض قضية بعينها من الناحية الفلسفية ، فى حين أنه لا يؤيد ولا يعارض الا على أساس التحليل « اللغوى » للعبارات التى تعرض سائر القضايا والافكار ! أليس من عجب أن ترى الناس لا يتعاملون فى حياتهم اليومية الا على أساس ما تمكن ترجمته الى « تجربة فعلية » ، حتى اذا ما جاءوا الى المجالات الهامة فى دنيا الفكر ، غضبوا ممن يدعوهم الى التزام مقياس « التجربة الفعلية » فيما يقولون ؟

انه لا ضير عندى فى أن يقول من شاء ما شاء ، على شرط أن يفرق لنفسه وللناس ما هو « خاص بمشاعره » وما هو « مشترك عام فى دنيا الواقع الخارجى » ، وفى القسم الاول يقع كل تعبير أدبى ، وفى القسم الثانى تقع كل قضية علمية ، وللكاتب بعد ذلك أن يختار أى العالمين يريد أن يكتب فيه ، لأن لكل من العالمين معياره الخاص ، فلا يجوز مثلا أن يعبر عن مشاعره بكلمات يحبها لجرسها ، ثم ينسى ذلك ويدعى أنه انما قال ما قاله ليصف الأمر الواقع .

وليختر من شاء من المذاهب الفلسفية ما شاء ، فلا اعتراض عندنا عليه ، لكنا كذلك أحرار فى « المنهج » الذى نفهم به كلامه ، لنحكم بعد الفهم ان كان كلامه هذا أدخل فى باب الأدب الخاص ، أم كان أدخل فى باب العلم العام .

ولننظر بعد ذلك الى ما قد صنعه الفلاسفة العرب الأولون ، فماذا صنعوا ؟ درسوا الفلسفة اليونانية ليستخدموها فى تحليل مفاهيمهم الدينية ، وانى لأصنع اليوم مثل صنيعهم تماما : أدرس الفلسفة العصرية لأستخدمها فى تحليل مفاهيمى الاجتماعية والسياسية ، والذى يعارض فى تطبيق هذا التحليل المنطقى العقلى على مفاهيمنا الاجتماعية والسياسية هو رجل يريد أن يقول ان مفاهيمنا هذه لا منطق فيها ولا عقل ، لكننى لا أقول ذلك ، لأننى أطبق منهجى هذا عليها فأجد طائفة كبيرة منها «تنجح فى الامتحان» العقلى المنطقى .

ويصمت لحظة ، ثم يقول: انا اعرف السؤال الذى تهم به الآن ، ولكنى افضل عدم الاجابة عنه فى هذا الجو العاصف الذى يحيط بقضية الشعر الآن ،وحين يحس فى صوتى شيئا من الضيق يقول :

سأحدثك عن نظرية الشعر عند الفارابى فهى تكاد تكون حديثة وغير متداولة فى حياتنا ثم يكمل : تدور هذه النظرية حول ان الغاية التى يحققها الشعر ، هو ان الشاعر يوحي لقارئه بوقفة سلوكية بل انه يريدها له ـ وهذه الوقفة السلوكية لا يعبر عنها بالقول المباشر ، وانما برسم صورة يكون بينها وبين السلوك المرتجى علاقة الاشارة الموحية ، ولو صدق هذا المذهب كانت لنا به ثلاثة معايير يكمل بعضها بعضا ، وفى الوقت نفسه نستطيع أن نميز بها جيد الشعر من رديئه ، فالمعيار الاول أن ترسم القصيدة صورة أوصورا تتكامل أجزاؤها بحيثيمكن تصورها ، والمعيار الثانى أن يكون للصورة المرسومة من قوة التداعى ما تستجلب به الى الذهن شبيها لها من الخبرة المخزونة عند القارىء ، والمعيار الثالث ان تكون الصورة المستدعاة مدعاة لصاحبها على اصطناع وجهة نظر خاصة ينظر بها الى العالم ، وفى الوقت نفسه يصطبغ بها السلوك اجمالا ·

وتنهال على افكار الدكتور زكي نجيب محمود التى تدور حول أن الشعر كسائر الفنون يجىء الجديد ليضاف الى القديم اضافة الشقيق الىالشقيق في الأسرة الواحدة، وأن المتنبى لا يلغى امرأ القيس، ولعل هذا يوضح تساؤل الشاعر روبرت جريفز « هل استطاع شيكسبير أن ينقص شيئا من مكانة تشوسر ؟ » فأصحاب القديم والجديد يتوهمون دائما أن بقاء أحدهما مرهون بزوال الآخر ، وفى ضوء هذا لابد من وضع مبدأين هامين فى قبول الشعر الجديد وهما : اولا ان يكون قد جاء ليصوغ حالات لم تخرج من قبل الى عالم الصياغة اللفظية ، وثانيا الا تكون هناك وسيلة أخرى غير الشعر لقيد تلك الحالات الجديدة ، ذلك لأنه لا داعى لأن نفرض على انفسنا قيود الصياغة الشعرية فى حالات يكفيها النثر ·

واعود ثانية الى التحديق فى وجهه ثم اقول له :

« ما حصيلة هذه الحياة الفكرية التى عشتها ؟

ويتململ فى مقعده ، ثم يطرق بوجهه الأسمر قليلا ، ولكنه لا يكمل الاطراقة ، لأن صوته سرعان ما يعود نقيا ، وبطيئا أكثر من قبل ليقول :

حصيلة هذه الحياة الفكرية التى عشتها هيمركب ثقافى من فلسفة تجريبية علمية ، وأدب ونقد ، ولا تناقض بين أن يجتمع الجانبان فى رجل واحد ، مادام يطبق القسم الأول فى مجاله العلمى ، والقسم الثانى فى مجاله الأدبى والفنى ، دون أن يخلط بين القسمين ·

فان بى لشغفا شديدا بالادب نثرا وشعرا ، واذا ما وقفت من قطعة ادبية ـ نثرا كانت أو شعرا ·· موقف الناقد ، لم أطالب صاحبها بما أطالب به الكاتب العلمى ، بل جعلت مقياسى هنا هو : الى اى حد تجيء القطعة الادبية كيانا قائما بذاته ، له قوانينه الخاصة ، أعنى أننى اذا ما دخلت قصيدة من الشعر ، فاننى أريدها أن تطوف بى فى عالمها الخاص الذى يتسق فيما بينه وبين نفسه ، ومهما جاءت فيها من غرابات الخيال ، فهى مقبولة ما دامت تتمشى مع « القوانين الخاصة » التى تحكم عالمها ، اننى اذا قرأت حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة فأنا لا أعترض على « بساط الريح » لأنه سيجيء فى الحكاية متسقا مع قوانين عالمها ··· وهذا هو الخلق الأدبى الصحيح ، فاذا سألتنى : وماذا تكون علاقة الأدب المستقل بنفسه هذا ؟ بالواقع وحوادثه قلت : تكون هذه العلاقة علاقة «موازاة» اذ أننى حين أنظر الى الموقف بعين فاحصة نافذة ، أجد هناك موازاة بين « عالم » القطعة الادبية و « عالم » الواقع ، ولهذا كله ترانى اقبل الشاعر والقصصى وسائر رجال الادب دون أن اتنكر مبدئيا لفكرة بعينها أو لمذهب بعينه ، لأن خالق الادب هو خالق عالمه الخاص ، وكل ما عليه هو أن يضبط قوانين ذلك العالم الخاص ضبطا لاتخبط بين أجزائه ، ثم أن « يوازى » بين بناء عالمه الخاص من ناحية وبناء العالم الواقع من ناحية أخرى ·

❋ ❋ ❋

وكما يصبح للوقت جناحان حينما يقبل انسان على لون من ألوان المرح ، فان الوقت يمكن أن ينمو له جناحان ، ويمكن أن يسرعا بالانسان وهويستمع الى الوجه الجاد الحاسم فى حقل الفكر ·· ولقد احسست بهذا وأنا أنصت الى الدكتور زكى نجيب محمود ، ولا أدرى لماذا وفدت على عينى صورة الشمس فى الصور التى خلفها قدماء المصريين ، فهم يحشدون الحياة فى اللوحة ، ثم يعلقون كل جانب منها بخيط من خيوط الشمس المطلة ، وما أحسب أحدا من مثقفى هذا الجيل الا وقد انتفع بما كتب الدكتور زكى نجيب محمود ·· الا وقد تلقى شعاعا او أكثر من هذه العين السخية التى تسمى شمس الفكر ·

« عبده بدوى »

مأساة تشيكوف على مسرح الجيب

بقلم : جلال العشرى

ان تقدم تشيكوف بالعربية عمل رائع ومحاولة عملاقة ان لم اقل فريضة درامية ، اما ان نقدمه بحيث نجعله **فرجة** للناس بدلا من ان يكون متعة للجمهور فعمل غير رائع ومحاولة غير عملاقة ان لم اقل خطيئة درامية ، خطيئة درامية لانها تؤذى احساسنا بالجمال وتعطل اعجابنا بالاشياء وتعوق خطة التنمية الدرامية التى نأخذ بها انفسنا ونأخذ بها الجمهور . ولا اكون مبالغا اذا قلت ان هذا بعينه هو ماحدث على مسرح الجيب ولكن لماذا يحدث على مسرح الجيب ؟ لاندرى ، ومادمنا لاندرى فمن حقنا بل من واجبنا ان نعيد النظر في رسالة مسرح الجيب فنسال عن حقيقة الوظيفة التى يشغلها ومدى مشروعية هذه الوظيفة فالقضية هنا ليست قضية تشيكوف بقدر ماهى قضية مسرح الجيب .

اما ان مسرح الجيب ضرورة تقتضيها نهضتنا المسرحية ويستلزمها نضجنا الدرامى فهذا امر مفروغ منه ، لأن المسارح التجريبية فى العالم كله انما تنشا استجابة لحاجة الأفكار الطليعية الجديدة الى النشر ، ولمخاطبة الجانب المنتقى من الجمهور الذى يمكن الاعتماد عليه فى التأثير على جمهور المسرح العام ، وأخيرا لوصل مسرحنا العربى بالتيارات الابداعية العالمية الجديدة . هذه جميعا هى مبررات انشاء مسرح الجيب فاذا ماانحرف عن اداء هذه الرسالة واصبحت رسالته تقديم مايمكن تقديمه على المسرح القومى او المسرح العالمى انتفى الباعث على وجوده وتناقض مع ماجاء فى وثيقة اعلانه : « ان حركة المسرح الصغير فى قرننا او فى اى بلد آخر ليست صراعا بين مسرح حديث والمسرح التقليدى . انها حركة أخلاقية فنية أكثر منها جمالية . انها محاولة لدفع دم جديد فى المسرح » .

فاذا بحثنا فى ضوء هذه الاعتبارات عن الدم الجديد الذى دفع الى تقديم تشيكوف على مسرح الجيب لم نكد نعثر على قطرة واحدة ، فالمسرحية كتبت عام ١٩٠٣ وتعتبر الآن فى عداد المسرح الكلاسيكى او المسرح «النيوكلاسيك» على اكثر تقدير ، والاخراج لم يات برؤية جديدة عن تشيكوف ولا بتاويل خاص للنص ، والاداء مرتبط بالاخراج بطبيعة الحال ، واذن فالجديد الوحيد فى المسرحيه هو ترجمتها عن الروسيه ، ولكن هل الترجمة وحدها تكفى ! صحيح ان ترجمة اى عمل من الأعمال الروائع يجب أن تكون عن اللغة الاصلية مباشرة والى لغتنا الفصحى لا العامية ولكن الترجمة اذا لم يكن فيها الكفاية لم يعد هناك مايبرر تقديم العمل اصلا ، لان العبرة ليست بالترجمة عن اللغة الاصلية وانما بالترجمة الاكثر اقترابا من النص والأكثر صلاحية للاداء المسرحى ، وفى رايى ان ترجمة نجيب سرور لم تف بهذا كله ، ولم تكن موفقة الى حد كبير والى حد كبير جدا ... فأكثر العبارات ركيكة التركيب مضطربة البناء مما يسلبها نغمية العبارة ويفقدها رنين الاداء المسرحى ، من ذلك مثلا قول دنياشا «لكنه فقط غير مفهوم» وقول لوباخين «فقط يجب اعداد الارض» وقوله ايضا : «فقط يتناول الشاى» وقول فاريا «فقط اذا لم يفتنى القطار» وقول مدام رانيفسكايا «فقط عليك ياعزيزى أن تجد فى الدرس» الى آخر هذه العبارات التى تبدا بكلمة فقط . فاذا فرغنا منها ارتطمنا بنوع آخر من العبارات كما فى قول آنيا «يحبنى بشدة» وقول لوباخين : «اشكرك بعنف» وقول جايف : «أنا متعب بفظاعة» ، وقول فاريا « الا تذهب فى النهاية» . ونوع ثالث من العبارات لاتكاد تخرج منه بمعنى كما فى قول آنيا : « مرة اخرى لمة شىء» وقول جايف : «فجاة اصبحنا غير

ضروريين» وقول مدام رانيفسكايا : «من الذى يدخن هذا النوع المقرف من السيجار» وكنت افضل عليها .. هذا النوع الردىء من السيجار .. وقول جاييف « هذا الدولاب عمره مائة سنة بالضبط» والاصح « مائة سنة كاملة» وقول فيرسى : «كارثة العتق» والافضل «كارثة تحرير العبيد» .

صحيح ان الترجمة لا تخلو من عبارات شاعرية **رنانة كما فى رثاء جاييف الدولاب وكما فى مناجاته للطبيعة ولا تخلو أيضا من تعاطف عميق مع الكاتب كما فى كلام بتيا عن المثقفين ، ولكنهـا فى عمومهـا ليست مبررا كافيا لتقديم تشيكوف على مسرح الجيب ، فاذا تركنا الترجمة وذهبنا الى الاخراج وما يرتبط به من تمثيل وجـدنا انفسنا بازاء مستوى لا يرتفع كثيرا على مستوى الترجمة .**

ولكن الكلام عن الاخراج والتمثيل يقودنا بالضرورة الى تذكير القارىء بخطوط العرض فى هذه المسرحية النادرة التى تجلت فيها براعة تشيكوف فى نظم الاشخاص ورسم الحوار ، واخيرا فى صناعة ما يمكن تسميته بالتصيد المسرحى .

فهنا مسرحية لا تحتوى على عقدة من اى نوع لأنهـا لا تخاطب العقل المنطقى وانما تخاطب الحساسية التمثيلية الشعرية . ولا تقصد اساسا الى المعنى الايديولوجى بقدر ما تؤكد الدافع الوجدانى الذى موضوعه معاناة التغير . فها هى ذى مدام رانيفسكايا تعود الى وطنها بعد ان اضاعت كل اموالها على عشيقها فى باريس ، تعود هى واخوها جاييف وابنتها آنيا لتجد الضيعة القديمة التى تسمى باسم البستان المشهورمثقلة بالديون وقد حدد يوم ٢٢ اغسطس يوما تباع فيه فى المزاد .

والمشكلة الآن هى ايجاد الوسيلة التى يمنع بها المحضرون من بيع البستان لسداد الديون . اما لوباخن ذلك التاجر الثرى الذى كان آباؤه وأجداده يعملون ارقاء فى الأرض فيعرض عليهم مشروعا ينقذهم به من الدمار ، ومشروعه أن تقطع أشجار البستان وتقسم أرض الضيعة وتقام الفيلات ضاحية سكنية للمدينة الصناعية النامية ولكن الاسرة كلها لاتطيق هذه الفكرة ، فكرة تقطيع أشجار البستان ، فالبستان عند مدام رانيفسكايا هو ضريح الذكريات وعند جاييف مادة من مواد القاموس الموسوعى وعند فاريا عز الماضى وشرف الاسرة وعند آنيا مرتع الصبا ونضارة الشباب وحتى فيرسى الخادم العجوز يأسى على ضياع حبات الكرز . ولكن .. ماذا يهم ؟ البستان يباع فى المزاد ، والمزاد يرسو على لوباخن ، ولوباخن يأمر باخلاء البيت وتقطيع أشجار البستان . ويرحل أفراد الاسرة واحدا بعد الآخر ، يرحلون على اشلاء البستان .. مدام رانيفسكايا تعود الى باريس ، وجاييف يعمل موظفا فى البنك ، وفاريا تعمل مديرة لأحد البيوت ، وآنيا تتهيأ لاجتياز الامتحان الذى تحصل بعده على شهادة تتوظف بها لتعول امها . وما ان يتم رحيل الأسرة حتى نرى فيرسى الخادم العجوز .. لقد نسوه ، اهملوه تركوه يعانى حزنا جليلا ويأسا رائعا فكل ضربة تهوى على اشجار الكرز يدوى صداها فى اعماق روحه واغوار ضميره واخيرا يموت ، يموت آخر من بقى من عهد مضى ، وبموته يتلاشى بستان الكرز يتلاشى تماما ولكن روسيا كلها تبقى بستانا للجميع .

فالفعل المسرحى الذى يلف الكاتب ويدورحوله ابدا هو المحاولة الفاشلة لانقاذ بستان الكرز ، فالشخصيات جميعا تأسى على ضياع البستان كل بطريقته الخاصة والشخصيات جميعا تحاول انقاذ البستان كل بطريقته الخاصة ، لذلك فان تشيكوف ينتقى من الأحداث واللحظات فى حياة اشخاصه تلك التى يشعرون فيها بموقفهم ومصيرهم من البستان كائنا ما يكون الشعور ما دامت كل شخصية ترى فيه شيئا من القيمة .. قيمة اقتصادية أو قيمة عاطفية أو قيمة اجتماعية أو قيمة ثقافية أو اية قيمة اخرى . ومعنى هذا ان تشيكوف يستخدم عدة عاكسات مختلفة يلقى منها الضوء على الفعل الرئيسى فى مسرحيته . ولكن المخرج اضاع كل هذه العاكسات واكتفىمنها بعاكسين اثنين هما اللذان يبرزان المضمون الايديولوجى فى المسرحية ... غروب شمس الاقطاع وبزوغ نجم البورجوازية ، فمدام رانيفسكايا تقف فى مواجهة لوباخن ، وآنيا تواجه بتيا ، ودنياشا تواجه ياشا وكلهم ليسوا اكثر من عاكسين اثنين رغمما بينهما من اختلاف فىالتشابه أو رغم ما بينهما من تشابه فى الاختلاف .

ونتناول فصول المسرحية فصلا فصلا : **الفصل الاول** عبارة عن مقدمة .. فهو يمثل عودة مدام رانيفسكايا كاسفة البال مخيبة الرجاء بعد ان انفقت كل اموالها على عشيقها فى باريس ، فهو اذن ليس «العود السعيد» الذى يستقبل بديكور تعبيرى فاقع ولا بالفرح المتطرف او الابتهاج المبالغ فيه ، فضلا عن التحركات الفيزيقية الكثيرة من دخول وخروج وضحك وبكاء ووقوع واصطدام وقبلات يتبادلها الجميع بما فيهم فاريا التى تدخل من نفس الباب الذى يدخل منه افراد الاسرة حتى يظن المتفرج انها كانت معهم فى باريس . وهذا كله دخيل على روح النص التشيكوفى الذى يحتاج فى هذا الفصل الى شيوع معانى الفرح الحزين والسرور المتوجس والصمت الدفين الذى ينذر بقرب وقوع الكارثة ، وبدلا من اللجوء الى العامل الموسيقى للايحاء بهذا كله استعان المخرج بشخير « بيشيك » الهزلى الذى يتصاعد من حين لآخر كان هذا بالطبع على حساب وظيفة الفصل الاول وهى ان نرى من خلال عينى مدام رانيفسكايا وعينى ابنتها آنيا ومن خلال نظرات لوباخن وبتيا المكملة ايضا ، ان نرى البستان بما كان عليه وأن نتخيله أيضا بما سيصير اليه .

فاذا انتقلنا الى **الفصل الثانى** حيث القيم المتصارعة فى نفوس الاشخاص ، وحيث المحاولات التى يبذلها كل منهم لانقاذ «بستانه» ، وحيث المصير المحتوم الذى يخيم على الجميع .. وهو ضياع البستان . فوجئنا بديكور ساذج ومسطح الى اقصى حد ، ديكور لا هو واقعى ولا هو تعبيرى ولا هو اى شىء على الاطلاق .. لوحة كبيرة تمثل طريقا زراعيا ينتهى بضيعة جاييف ، اللوحة موضوعة وضعا فى خلفية المسرح وجانباها مفتوحان بحيث يمكن رؤية كل من يعبر من خلفها ، أما اعمدة التلغراف فشىء يغرى بالضحك . فاذا سألنا واين الكنيسة القديمة المهجورة ، أين البئر والاحجار التى تبدو كأنها شواهد القبور ، اين بقية المواصفات التى نص عليها تشيكوف فى الترجمة الانجليزية ؟ لم نسمع جوابا .. ربما لم تكن موجودة فى الاصل الروسى ! المهم ان المخرج هنا لا يزال يستخدم التحركات الفيزيقية الكثيرة فها هى ذى شارلوتا المربية ودنياشا الخادمة وياشا تابع مدام رانيفسكايا وييبخوروف عازف الماندولين ها هم جميعا يقعون على الارض ويقومون ليقعوا من جديد . والمخرج هنا يستبدل القبلات المتبادلة فى الفصل الاول بالبصقات المتبادلة بين كل هؤلاء فما لا يقل عن عشر بصقات تبودلت فى هذا المشهد ، ولا يزال أيضا يحصر نفسه فى المستوى الفيزيقى دون ان يعبره الى المستوى الروحى او الميتافيزيقى . فقرب نهاية هذا الفصل يوحى تشيكوف بان البستان قد ضاع تماما لكنه لا يستخدم لهذا الغرض خطة الزمن الواقعية وحدها ... غروب الشمس وبزوغ القمر ... وهى ما وقف عندها المخرج . واعتمد فيها على تغيير الاضاءة وانما يستخدم آنيا وبتيا نفسيهما على انهما عاكسان يشربان . فعندما تقول له آنيا انها لم تعد ترى فى بستان الكرز « هذا » أجمل مكان فى العالم يرد عليها بتيا لأن روسيا كلها اصبحت بستانا للجميع .

وبعد ذلك يجىء **الفصل الثالث** حيث التناقض على أشده والمأساة قد بلغت الذروة .. حفل صاخب فى البيت ومزاد قائم فى المدينة ، مدام رانيفسكايا تشرب وترقص . ولوباخن يكد ويعرق . هى تهوى الى مستوى الرقص مع موظف البريد وهو يصعد حتى يصبح مالكا للبيت والضيعة والبستان .. اجل لقد رسى عليه المزاد وها هو يعود ليعلن ذلك على الجميع . ولقد وفق المخرج الى حد كبير فى ادارة كل خيوط هذا الفصل ، فالديكور معقول جدا . والشخصيات متجانسة ومتوافقة سواء فى الدخول والخروج او فى الحوار واللقاء . وابرز معالم هذا الفصل لحن الفالس الذى جسد كل ممكنات هذه المرحلة من مراحل التطور الدرامى .. حزن وشجن ، نصر وهزيمة رتابة وتقطع هما اشبه بالنواح وايقاع عميق هادر يئز فى الأعماق .

واخيرا يجىء الفصل الاخير .. لقد انتهت اسطورة البستان ، تلاشت كما يتلاشى شعاع الشمس حين يسطع على جناح طائر ، وها هى ذى « الرغبة فى انقاذ البستان قد تمخضت فى الحقيقة عن

ائتلافه ، واجتماع أهله تمخض عن فرقتهم ، والعودة الى الوطن تمخضت عن الرحيل كما جاء فى عبارة فرجسون ٠ وكان رائعا من المخرج أن أسدل ستار المسرح الداخلى على البستان وحده وترك المسرح خاليا الا من فيرسى فى اضاءة خافتة معتمة يئن ويتوجع وأخيرا يموت ، يموت آخر من بقى من أسرة رانيفسكايا رمز الاقطاع الروسى المتلاشى الى الأبد .

تبقى كلمة أخيرة تقال فى الممثلين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى النهوض بأعباء هذا النص غير العادى رغم ما فيه من رهافة وشفافية ، ورغم ما يتطلبه من حساسية تمثيلية ونبض درامى. والحق ان **محمد الطوخى** كان وفيا بكل هذه المواصفات وزيادة ، فقد أدى دور لوباخن الفلاح الروسى الذى يمثل البورجوازية الصاعدة ، اداه بفهم عميق وبراعة حقيقية ، وكان متمشيا بشكل يدعو الى الاعجاب مع كل تموجات هذا الدور . وكذلك **أمينة رزق** بذلت جهدا جبارا فى القبض على دور مدام رانيفسكايا وطرحه بكل أنغامه الحادة وتلوينه الدرامى ولو أنها فى بعض الأحيان كانت تطعم الدور بشحنات مليودرامية بعيدة عن روح النص ٠ اما **نادية السبع** فقد كانت دنياشا حقا .. الخادمة الروسية التى تستمتع بكل رخاصة المرأة وتستمتع ايضا بكل رسم الخادمة الساذجة البلهاء ، ولو أنها كانت تبالغ قليلا فى تحركاتها السريعة الخاطفة وفى هيامها بياشا تابع مدام رانيفسكايا، وهو الدور الذى أداه الممثل الواعد **أحمد كامل** اداء طبيعيا جيدا . اما **سهير المرشدى** فكانت أكثر من رائعة فى تمثلها وتمثيلها لدور فاريا ٠٠ استطعمت الدور وعضمته فحافظت على كل أبعاده الحقيقية ، وأدته بطريقة انسيابية بارعة بل انها كانت تغطى ماق دور آنيا من ثغرات وهو الدور الذى قامت به **نوال ابو الفتوح** فكانت دون مستوى اختها بكثير ٠

وأخيرا لا يفوتنا فيرسى وهو الدور الذى أداه **رشدى المهدى** فوفق فى أدائه كل التوفيق واستحق منا كل الاعجاب .

« **جلال العشرى** »

محافظة الاسكندرية :

اعلان

تعلن محافظة الاسكندرية (الديوان العام) عن وجود وظائف شاغرة مبينة فيما يلى : ـ

١ ـ سائق سيار بالدرجة التاسعة (١٢ ـ ٢٥) جنيها
٢ ـ سائق موتوسيكلات بالدرجة التاسعة (١٢ ـ ٢٥) جنيها
٣ ـ عامل بطاريات بالدرجة العاشرة (٩ ـ ١٩) جنيها
٤ ـ مساعدى كهربائى سيارات بالدرجة الحادية عشرة (٧ ـ ١٥) جنيها

ويشترط فى المتقدمين مايلى : ـ

١ ـ ان يكون متمتعا بجنسية الجمهورية العربية المتحدة
٢ ـ اجادة القراءة والكتابة
٣ ـ النجاح فى الامتحان الفنى الذى سيجرى للمتقدمين
٤ ـ الا يقل السن عن ١٦ سنة
٥ ـ سائقوا السيارات يحملون رخصة عمومية
٦ ـ سائقو الموتوسيكلات يحملون رخصة اجرة او ملاكى

فعلى الراغبين فى شغل احدى الوظائف حتى ولو كانوا من العاملين بديوان عام المحافظة او اقسامها التقدم بطلباتهم على عرض حال دمغة فئة الخمسين مليما بالبريد المسجل برسم السيد/وكيل الوزارة للاسكان والمرافق بمحافظة الاسكندرية (ادارة شئون العاملين) فى ميعاد غايته ظهر يوم ١٥/٣/١٩٦٥ وان يرفق الطلب بمسوغات التعيين الآتية : ـ

١ ـ شهادة الميلاد او مستخرج رسمى لها
٢ ـ شهادة المعاملة العسكرية
٣ ـ شهادة الجنسية العربية (ج ٠ ع ٠ م ٠)
٤ ـ شهادة حسن سير وسلوك
٥ ـ صحيفة الحالة الجنائية
٦ ـ صورة فوتوغرافية للبطاقة الشخصية
٧ ـ ٤ صور فوتوغرافية مقاس ٤×٦ سم

وسيكون التعيين فى هذه الوظائف باسبقية النجاح فى الامتحان طبقا لقانون العاملين المدنيين مع منح اولوية التعيين للناجحين الذين اتموا الخدمة العسكرية او المجندين ٠

ولن يلتفت الى الطلبات السابق تقديمها قبل الاعلان او بعد الميعاد المحدد به والطلبات غير المستوفاة للشروط السالفة الذكر او غير المرفق بها جميع مسوغات التعيين المذكورة ٠ ولن تقبل اية صورة فوتوغرافية لاى مستند من المسوغات المنوه عنها بعاليه٠

محافظ الاسكندرية

(محمد حمدى عاشور)

٩١٧٨

الكتب نقد وتعريف

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية

تأليف : محمد الراوي
نقد : محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذى يقع فى أكثر من خمسمائة وثلاثين صفحة دراسة واسعة للاستاذ محمد الراوى المفتش العام للشئون الدينية بوزارة الأوقاف ، يعرض فيها دعوة الاسلام كدعوة عالمية فى جانبيها الروحى والمادى .

وقد قسم المؤلف هذه الدراسة الى خمسة أبواب :

تناول فى الباب الأول ، التعريف بالاسلام وروحه العالمية ، فالدعوة الاسلامية هى دين الله الذى بعث به الانبياء جميعا ، تجدد على يد محمد خاتم الأنبياء ، كاملا وافيا لصلاح الدنيا والآخرة ، وهى انما تستمد بقاءها من أمرين : **كونها** من عند الله ، **وصلاحيتها** لكل زمان ومكان ، **كما** تناول الخصائص التى يجب أن يشتمل عليها الاسلام ليكون عالميا وصالحا لكل زمان ومكان ، وقد أجملها فى ثلاث :

١ ـ **وفاؤه** بحاجة الانسانية جمعاء ، فيما يصون وحدتها ، ويرعى انسانيتها .

٢ ـ **تشريعاته** التى تضمن قيام الانسانية كلها فى محيط واحد ، لا تنزع معه الى عصبية دم ، أو اختلاف لون ، أو فرقة جنس .

٣ ـ **اتساقه** مع حقائق الكون وخصائص الوجود بحيث لا يتعارض مع ما يثبت من حقائق العلم ، أو يختلف مع منطق الفكر ..

* * *

وفى الباب الثانى : تناول عموم الدعوة الاسلامية ، من مدلول الكلمة ، ومن وحى الفطرة ، وفى حقيقة القرآن ، وشخص الرسول ، **فنحن** اذا تأملنا كلمة (**اسلام**) وجدناها تعنى الانقياد والامتثال لأمر الله بلا اعتراض ، وبهذا المعنى يمكن اطلاق كلمة (**مسلم**) على كل من خضع لله وأطاع أى نبى من الأنبياء .

والاسلام هو الفطرة التى لازمت الانسان من بدايته ، لأن الانسان بطبيعته ، ينعطف الى قوة أعلى يركن اليها ، ويؤمن بها ، على أن الانسانية فى استجابتها لهذه النزعة قد تضل فتخضع أمام شجر أو حجر أو أى كائن حى ، وقد تهتدى الى الحق فتكشف بذلك عن خصائص انسانيتها ، على أن الله لم يترك الناس ينحرفون بفطرتهم فيهيمون بين خلائق الأرض يطلبونها لشفاعة السماء ، بل هداهم الى استقامة الفطرة ، وارشدهم الى سلامتها ، هذا وقد قصر المؤلف حديثه عن القرآن على جانبين : أحدهما علاقة القرآن بالانسان ، ثم علاقته بالكون ، ثم أشار الى حقيقتين : الأولى ، تساءل : من أين لمحمد وهو الأمى الذى لم يتل من قبل من كتاب ولم يخطه بيمينه ، من أين له هذا الكتاب الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ ومن أين للعرب جميعا بأصول هذه العلوم ومعارفها ، وهى تتعرض لأدق ما يمكن ان يكتشف عنه العلم فى الأجيال المتعاقبة ؟

والحقيقة الأخرى : أن العلوم التجريبية وهى تمضى فى مدار التجربة والملاحظة ، وتمتد فى باب الكشف والتعرف على أسرار الكون تجد نفسها فى ساحة القرآن تدين له بالفضل طوعا وكرها . وقد أخرج العقل من ظلام الوهم والحيرة .

ثم تحدث المؤلف عن الرسول الكريم ، كأكمل دليل على أن دعوة الاسلام رحمة للعالمين ، فرسالته مزيج من رسالات الأنبياء جميعا ، وسيرته لم يخف على الناس شىء منها حتى تعدم القدوة فى أى أمر ، وذلك شرط أساسى فيمن تجب القدوة به أن تكون حياته كلها معلومة للناس ، فما علمنا من سيرته وسلوكه يمكن ـ دون ريب ـ ان يكون نبراسا للخلق فى كل زمان ومكان .

وفى الباب الثالث ، تناول المؤلف العالمية فى

الدعوة الاسلامية ، وأنها سارية في فرائض الاسلام وتعاليمه ، **سارية** في الايمان بالله واليوم الآخر ، فاذا تأملنا هذه العقيدة راعنا من أول وهلة اتصال حياتين : مؤقتة نعرف أمرها ، وأخرى باقية خالدة تبنى على سلوك الانسان في الدنيا ، واتصالهما يهذب الأولى ويضمن السلام والاستقرار في الأخرى ، وانفصالهما يشيع الفساد في الأولى ويذهب بأمن الأخرى واستقرارها . **وسارية** في الصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتملأ النفس بالعزم والثقة ، وتحوطها بشرف القصد وبر اليقين ، **وسارية** في الزكاة ، لأنها منهج انساني فطري في خدمة الانسان بفضائله وأخلاقه وروحه وجسده ، **وسارية** في الصوم ، لأنه منهج للروح والجسد ، وللفرد والجماعة ، يمدنا بالعزيمة المتجردة ، والارادة الحرة ، **وسارية** في الحج ، لأنه وحدة في الاتجاه ، فالقبلة واحدة ، ووحدة في الزمان ، فالحج أشهر معلومات ، ووحدة في المكان ، فالطواف والسعي والوقوف ورمي الجمار والنحر والتلبية لها أماكنها المخصوصة ، ثم أخيرا **سارية** في الآداب والأخلاق ، لأن أخلاق هذا الدين مستمدة من عقيدته ، وهي ليست نظريات فلسفية ، أو مصطلحات علمية ، بل هي نور ، تحيا مع الوجدان ، كما تلتقي مع منطق الفكر وسماحة الفطرة .

* * *

وفي الباب الرابع : تناول المؤلف الطابع العالمي في علاج الاسلام للمشاكل الفردية والجماعية ، **فالاسلام** ينظر الى الفرد نظرة كاملة ، تتفق مع واقع الفطرة ، وحقيقة الخلق ، وواقع الفطرة روح وجسد ، وحقيقة الخلق : الانسان مخلوق والله خالق ، والتربية الصادقة هي التي تهدف الى العناية بالانسان كله ، وتقيم العدل داخله ، وتعطي في اعتدال كل جانب حقه ، **والاسلام** أيضا ينظر الى المجتمع في أفراده ، والمجتمع الكريم أو المهين ، انما هو صورة منعكسة لكرامة الافراد أو مهانتهم ، وحقيقة المجتمع في أفراده ، فاذا أنت أهملت شأن الأفراد فقد ذهبت بحقيقة المجتمع ، واذن فمدار الأمر على الفرد الذي هو أساس المجتمع .

والاسلام كرم العلم ، ويكفي أنه طلب الايمان بالله لا عن طريق التقليد والمحاكاة ، بل عن طريق النظر والتأمل ، **وكما** أن الانسان روح وجسد ورعايته لأحد الجانبين منافية للفطرة ، كذلك الحياة مادة وروح ، والعلم الذي يرعى أحد الجانبين دون الآخر يقيم معركة صاخبة في ذات الانسان أولا ، لا تلبث أن تتحرك منه الى خارجه في أنانية جشعة ، وهذا ما انتهت اليه حضارة المادة حين تحيزت لغرائز الانسان فلم تلبث أن انتكست على نفسها ، فحطمت أو كادت تحطم ما صنعت وتدمر ما أقامت .

والاسلام يقرر الأخوة العامة ويقيمها على أساس من الود والتعارف ، والسلم والمسالمة ، والتعاون والوفاء بالعهد ، وازاء هذه المبادىء ، فان قضايا العالم كله تجد من رحابة الاسلام وعدالة حكمه ، ونزاهة تقديره وصدق غايته ، ما يصون للانسانية ودها .

* * *

أما الباب الخامس والأخير : فقد تناول المؤلف فيه حاجة الانسان الى دعوة الاسلام ، وهل يمكن للانسانية أن تحيا بدونها ؟ وهل أوفت الأنظمة القائمة بحاجة الانسان ؟ والاجابة عن هذين السؤالين تتمثل في واقع الحياة اليوم ، وتجربة الاسلام ، قبل أن تشوبه الشوائب ، وتتضاءل شعوبه وهي منصرفة عنه .

* * *

وبعد ـ فالحق أن الأستاذ الراوي قد الهم التوفيق في أجزاء كثيرة من هذه الدراسة الجادة الواعية ، الا أن هناك وقفات محدودة في حاجة الى النظر .

أول هذه الوقفات : فقر الدراسة الى البحث المقارن ولا سيما في علاج الاسلام لمشاكل الحياة ، والى مناقشة الآراء الحديثة في التربية والسلوك الانساني على العموم .

والوقفة الثانية : اسراف المؤلف في التمهيد لبعض الموضوعات الدقيقة التي طرقها ، حتى كادت معالمها تضيع ، ثم اضطراره أحيانا الى الاسلوب الانشائي الذي ساعد كثيرا على تمييع المعاني .

والوقفة الثالثة : وضوح العاطفة الدينية في بعض ما تناول ، فاذا سلمنا بعالمية الدعوة في العقيدة الاسلامية ، وسلوك المسلم وأخلاقه مثلا ، فالتسليم بهذه العالمية في العبادات أمر يحتاج الى توقف ، ولا سيما أن العبادات الاسلامية خاصة بالمسلم ولا تمتد الى غيره .

هذه وقفات سريعة لا تقلل كثيرا من أهمية الدراسة الواسعة الشاملة ، التي بذل المؤلف فيها جهدا مشكورا يسجل له بكل تقدير .

« محمد عبد الله السمان »

كتب جديدة

● **ماذا حدث في السنة الجغرافية الدولية ؟**

تأليف : فرانك روجي

ترجمة : عبد المنعم ابو السعود

الناشر : عالم الكتب ــ القاهرة

يقع الكتاب في ١٨٠ ص من القطع الكبير . وتقع دراسته في فصول سبعة ، تناول فيها المؤلف تاريخ السنة الجغرافية الدولية وتنظيمها ، وهي السنة التي بدأت في أول يوليو عام ١٩٥٧ وانتهت في آخر ديسمبر ١٩٥٨ وكانت أكبر برنامج للبحث الجماعي قام به العلماء لدراسة الارض على نطاق واسع ، كما تناول الارض الصلبة وسطح الارض والغلاف الجوي لها ، والشمس ، والمنطقتين القطبيتين : الجنوبية والشمالية ، ثم ادوات البحث في السنة الجغرافية الدولية ، كالصواريخ والأقمار الصناعية ومراكب الفضاء .

● **الدين وتنظيم الأسرة .**

تأليف : أحمد الشرباصي

الناشر : وزارة الشئون الاجتماعية

صفحات الكتاب ١٦٠ من القطع الكبير ، وهو دراسة تهدف الى التماس هدى الاسلام فيما يتعلق بتنظيم الاسرة ورعايته لها ، وناقش المؤلف قضايا الأسرة ومشكلاتها وابرزها تحديد النسل . فاستعرض آراء المؤيدين والمعارضين من العلماء القدامى كالامامين : الغزالي وابن القيم ، والمحدثين كالمغفور لهما : الشيخين : محمود شلتوت وعبد المجيد سليم ، والامام الأكبر الشيخ حسن مأمون .

● **ابو العلاء المعري**

تأليف : الدكتورة عائشة عبد الرحمن

الناشر : المؤسسة المصرية العامة

يقع الكتاب في ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط ، وهو ضمن اعداد سلسلة أعلام العرب التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي ، وقد قسمت الدكتورة بنت الشاطيء ترجمتها لأبي العلاء الى خمسة أبواب ، قبل المولد (الوراثة) ورحلة حياة (معركة التحدي والطموح) وفي مفترق الطرق (رحلة الى بغداد ، ومعركة المجاهدة ثم نهاية المطاف حيث عرضت المؤلفة تراث ابي العلاء وآثاره الخالدة على الزمن .

● **النقائص والنجاح**

تأليف : ضياء الدين ابو الحب

الناشر : دار المعارف بمصر

هذا الكتيب الذي يقع في ١٦٠ ص من القطع الصغير هو العدد الاخير من سلسلة (اقرأ) المعروفة ، يتضمن تسجيلا لانواع شتى مما تهجس به الخواطر المضطربة ، والنفوس المرهقة من دواعي الشك والقلق ، ومن الموضوعات التي طرقها الكاتب ، النقائص وكيف تعين على الفوز ، لماذا ينتابنا الهم والاكتئاب وكيف تكون صفة الثقة بالنفس ونتغلب على القلق ، ومشكلة الارض ، وكيف نفيد من الايحاء الذاتي في شفاء النفس ، ثم كيف نستخدم ذكاءنا استخداما مفيدا .

● **نافذة على الكون**

تأليف : د . امام ابراهيم أحمد

الناشر المكتبة الثقافية

هذا الكتيب الذي يقع في ١٤٤ ص من القطع الصغير احد اعداد سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي .

والكتيب على صغر حجمه يتناول موضوعا على جانب كبير من الاهمية، اذ يتعرض لجهود الانسان في اكتشاف الكون ، واول نافذة اطل منها الانسان على الكون ترجع الى قدماء المصريين والبابليين ،لاعتبارهم أول من وجدوا الأجرام السماوية ، ولكن حضارتهم اقدم حضارة بقيت آثارها حتى اليوم . وعرض الكتيب لارصاد العرب ، وجهود علمائهم في هذاالمجال ثم للمنظار الفلكي، والرادار واللاسلكي والصواريخ.

● **الامام الممتحن : احمد بن حنبل**

تأليف : البهي الخولي

الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

عدد صفحات الكتاب ٧٠ من القطع الصغير ، وهو دراسة مركزة عن احد ائمة المذاهب من خلال محنته تلك التي اشعل نيرانها المعتزلة وتعني بها قضية (خلق القرآن) والمؤلف يعرض الامام الممتحن من زوايا عقله النقي ، وهمته المنعقدة بآثار رسول الله ، وصبره الذي لا يغيض له معين ولا تهن له قوة ، ولا تبلى له جدة .

« احمد عبد الصمد دياب »

الشعر السياسي العراقي

في القرن التاسع عشر

تاليف : ابراهيم الوائل

حمل الاسلام الى أرض الوافدين حضارة جديدة في العلم والعمل فاسست الكوفة والبصرة وسار العلم والعمل في تلك المعاهد والضفاف جنبا الى جنب ثم أسست مدينة واسط بين الكوفة والبصرة لتسهم بنصيب من العلم والعمل ثم قامت بغداد على دجلة فشغلت التاريخ وماجت بالعقول المبدعة المنشئة ونشطت المدرسة الاسلامية العربية وظلت تعطى وتاخذ وتمد أشعتها في مسافات بعيدة من دنيا المسلمين ، ودونت الكتب في الدين والعقائد والمناظرات والفلسفة والادب والتاريخ واللغة ، وتعددت دواوين الشعراء ومجاميع النثر ، وألف للجسم ما ألف للعقول والقلوب وبقى كل شيء من ذلك ميراثا للاجيال يتحدث به الغادى والرائح والمقيم والراحل والعربى والاعجمي .

وقد عالج المؤلف موضوع الشعر السياسي العراقي فاوضح الحالة السياسية والادبية في العراق قبل القرن التاسع عشر ثم الحالة السياسية في الدولة العثمانية وكذلك الحالة العلمية في العراق والمدارس العثمانية .

وبعد أن فسر المؤلف دور الشعر السياسي ومعناه وتطوره وطرق التعبير فيه من فخر وحماسة وشكوى من الحياة ، وصل بنا الى ما أسماه بالشعر في ركاب الدولة - أو في موكب السلاطين ، مثل السلطان محمود الثاني - والسلطان عبد المجيد الاول ، والسلطان عبد العزيز - والسلطان عبد الحميد الثاني - وما في هذا الشعر من قيم فنية وموضوعية ومن أهم فصول الشعر ما تناوله الكتاب في الجانب القومي والوطني من حيث دراسته لمفهوم القومية في العراق ابان القرن التاسع عشر ومدى صلة الشعراء بها وما قيل فيها من شعر .

ويقع الكتاب في ٣٠٥ صفحة من القطع الكبير ونشرته مطبعة العاني - ببغداد بالاشتراك مع جامعة بغداد .

اللغات الاجنبية

دورها الثقافي في المجتمع الجديد

تاليف : الدكتورة نعيمة محمد عيد

لا شك أن العلم والفن والادب لا وطن لهم ، بل تتسابق كل الشعوب بالاسهام في كل منها بنصيب تتحرى أن يكون غنيا عظيما .

والعصر الذى نعيش فيه يتميز باتجاهين ، فهو من ناحية يشجع التعاون الدولى هادفا الى التقريب بين الشعوب ، وان تعددت الاسباب والاسس التى يتخذ منها قواعد لهذا التقارب . ونجده من ناحية أخرى يتميز بابراز اتجاهات تشجع تشبث الفرد بموطنه وموطن أجداده ، وتنادى بالاستمساك بالوطنيات الخاصة المستقلة وما يستتبعها من اعتزاز بلغة البلاد القومية وتراثها الادبي والعلمى .

وعن طريق اللغة تستوعب ما تحتويه الكتب والصحف والمجلات ، وبها ننصت الى مختلف الوان الاحاديث والبرامج في الاذاعة والسينما والتليفزيون ففى كل هذه المجالات تتجلى أهمية اللغة في حياتنا اليومية ، فهى وسيلتنا الاولى كمستمعين ، أو قراء ، أو كتاب ، أو متحدثين .

ويبين لنا الكتاب ضرورة اهتمامنا بتعلم اللغات الاجنبية واجادتها .

ومحاربة ذلك الهبوط المخيف في عدد من يتعلمون هذه اللغات ويجيدونها ويعرض لأهم اللغات الاجنبية التى عرفت في مصر خلال القرن التاسع عشر ودور اللغات الاجنبية في المجتمع الاشتراكى الجديد ، ثم تطور اهداف ووسائل تدريس اللغات الاجنبية في التعليم القومى مع نقد لبعض الطرق المتبعة في تعليم اللغات الاجنبية ، وبعد ان بحث الكتاب في أثر اللغات الاجنبية على الثقافة القومية ، والدور الحضارى للغات الاجنبية في المجتمعات الحديثة تتساءل المؤلفة في الفصل الثامن والاخير من الكتاب عن أى اللغات الاجنبية تختار؟ مع اقتراحاتها الخاصة بتحسين المستوى العلمى القائم .

ويقع الكتاب في ٢٥٣ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية .

« تحسين عبد الحى »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



● **أدب العصابات :**

قدمت مجلة الثقافة في عددها الثالث والثمانين مقالا لرئيس التحرير عنوانه « ظلام وبرد » عقد فيه مقارنة بين الأدب في الماضي والأدب في الوقت الحاضر. ففي رأيه أن الأول كان مفهوما واضحا يؤدي وظيفته وعلى العكس من ذلك أدبنا الحاضر فاننا «نقرأ ونقرأ وقلما نخرج مما نقرأ بمعنى نأتنس به ، أو معنى يشعرنا بالدفء في تامله أو مناقشته أو مراجعة أنفسنا به» ويلقي فريد أبوحديدتبعة هذا الانحطاط في الأدب الحديث على الاعتماد على النقل من الأدب الجديد في أوربا وأمريكا ذلك الذي لايمت بصلة الينا ولايساير تطورنا، اذ أن «الأدب في أوربا وامريكالم يعد نقدا للحياة بل أصبح منقطعا كل الانقطاع عن الحياة ، وقد أصبح ادبا أنانيا لا ينظر الى طبيعة الانسان . ولا ينظر الى صلة الانسان بالمجتمع بل يتصل بالاديب نفسه ليكشف عما في داخله .. فاذا كان مريضا نفسانيا أطلع الناس على أحاسيس المريض النفساني ، واذا كان مائلا ميلا اجراميا صور للناس أحاسيس الفرد ذي الميل الاجرامي ، واذا كان شاذا في خلقته صور للناس أحاسيس الفرد الشاذ في خلقته » .

ويتحدث المقال عن العصابات الأدبية التي تريد أن تفرض افكارها على غيرها، فقد أصبح هناك «أدب عصابات من مجموعات متفرقة من الأدباء تجمع بينهم علاقة التعصب لاتجاه أدبي واحد فكل واحد من أفراد العصابة الادبية يشعر بأنه ملتزم أولا بالاعجاب المتبادل بما يصدر عن الآخرين من الانتاج ، وهذا نوع من النرجسية ، لأن الاعجاب المتبادل بين أفراد العصابة الادبية ما هو سوى نوع من الاعجاب بالنفس » .

ويمضي أبو حديد متسائلا : ماذا يكون عذرنا اذا تغافلنا عن ذلك التزييف الأدبي الذي يقنع فيه الاديب برجمنا ورجم مجتمعنا باكوام من أحاسيس مفتعلة وأفكار مزورة قائلا لنا كلمة واحدة « هكذا أنا أفكر وهكذا أنا أشعر ، وليس ما أقوله لكم من شأنكم أنتم » .

ويضيف الى ذلك قوله « اننا في حاجة الى معرفة ما يجري في العالم في ميادين الفنون والآداب ولكن العلم بما يجري في العالم لا يكون على حساب أنفسنا واحساساتنا وأفكارنا ، ولا يكون على حساب مصلحة مجتمعنا » وينتهي المقال ليؤكد ان الدعوة الى فتح النوافذ التي تطلعنا على ما يجري في العالم ، قد اتضح انها دعوة أسيء اليها اساءة كبرى ومن أجل هذا وجه لومه الى أدبائنا لأنهم « لم يفتحوا لنا النوافذ التي تجدد لنا الهواء وتسمح لأشعة الشمس أن تدخل الى أدبنا والى مجتمعنا بل فتحوا لنا بعض النوافذ التي لا تطل الا على خربات مملوءة ببقايا محطمة من الزجاج والفخار وقطع من الهلاهيل القديمة ومصاصة القصب » .

وعلقت على هذا المقال مجلة الاذاعة والتليفزيون راجية الى فريد أبو حديد أن يقدم لنا دراسة عن هؤلاء الأدباء الذين فتحوا النوافذ التي لا تطل الا على الخربات .

وهـذا اقتراح وجيه نرجو من الكاتب الكبير «أبو حديد» أن يستجيب له . ونقول أخيرا لهؤلاء الذين يقلدون وينقلون ان الواجب يتطلب منهم أن يراعوا تقاليدنا الموروثة وامكانياتنا الفكرية والاجتماعية حتى يكون عملهم الذى يقومون به متفاعلا مع مجتمعنا وعاملا خصبا لاستمرار النهوض بأدبنا.

● **الموشحات فى الأدب العربى :**

وجاء فى مجلة «الأديب» اللبنانية بحث كتبه محمد رجب البيومى تحدث فيه عن ضعف تأثير الموشحات فى الأدب العربى ، فبين أن الباحثين يختلفون فى نشأة الموشحات الى فريقين : فريق يرى أن الموشحات نشأت استجابة لرغبة شعرية فى الانطلاق من القيود والتحليق بالمعانى فى أفق رحيب ، والآخر يرى أنها نشأت لرغبة غنائية فى مجتمع يحتفل بالشدو والترجيع الذى تضج به الأوتار والعيدان. ثم يذكر الباحث أن الجو الغنائى الذى ساد فى الاندلس «هو الذى أوحى للشعراء أن يبتدعوا الموشحات فيشبعوا حاجة فنية لم تكن قائمة لدى مجالس الطرب ببغداد» ويقرر ان الثورة على القافية قد بدأت قبل ظهور الموشح وفى مكان غير مكانه «فمنذ جاء العهد العباسى ومسلم بن الوليد وابان اللاحقى ، وبشار وأبو العتاهية ينظمون الرجز فى القافية المزدوجة .. كما نظمت المربعات والمخمسات والمسمطات وهى كلها ثورة على القافية فى الصميم وعودة الى الانطلاق الفنى . أما فى الاندلس فقد ذاعت فيها المزدوجات والمربعات والمخمسات التى نظم فيها كثير من الشعراء لكنهم قد أحجموا عن القول فى هذه الألوان الجديدة خوفا من أن يتهموا بالعجز عن امتلاك القافية والاقتدار عليها » فهم — مع اتجاههم الى الجديد يرتدون ثانية الى عمود الشعر وما أكثر عشاقه ومريديه » .

ويستمر الباحث فى عرض آرائه ويدعمها بما يسوقه من النماذج المختلفة ويستشهد بأقوال كثير من الباحثين .

● **خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية :**

تناولت مجلة « الكتاب العربى » كتاب القائد العربى عبد الله التل بالعرض والدراسة ويذكر طاهر الطناحى ان المؤلف سمى كتابه «خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » ولم يسمه كما فعل بعض المؤلفين « خطر الصهيونية العالمية » لأن الصهيونية كالماسونية واللاسامية ، أداة من أدوات التنفيذ لليهودية العالمية التى تعمل قبل الصهيونية منذ القدم للسيطرة على العالم .. وقبل أن ينتهى الطناحى من عرضه للكتاب يشير الى أن سبيل النجاة من الاخطبوط اليهودى هو خوض معركة فلسطين على أساس الجهاد الدينى ، وأن يتعاون المسلمون والعرب فى هذه المعركة الدينية ، ويجدد العرب الصلة بالشعوب الاسلامية ، ويقووا الروابط بينهم « وأن نعمل نحن العرب على اقناع الأوربيين والامريكان بشتى الوسائل بما أصابهم ويصيبهم من السيطرة اليهودية على مرافقهم واقتصادياتهم، وأن نحارب الدعاية اليهودية فى أمريكا وأوروبا التى تصورنا امة متوحشة غير متمدينة ، وأن ننمى القوى المادية فى الوطن العربى ، وأن نضاعف ونوحد قوانا الحربية ، وأن نؤمن بأن الغزو الثقافى ووسائل الاعلام فى الدول العربية والاسلامية من أهم مايعتمد عليه فى مكافحة اليهودية » .

● **البيعة الجامعة :**

وفى عدد فبراير من مجلة القصة تحت عنوان « البيعة الجامعة » بقلم رئيس التحرير محمود تيمور، بمناسبة بيعة الشعب للرئيس جمال عبد الناصر يقول :

ان الرئيس « جمال عبد الناصر » هو البطل الذى حلم بالثورة ناشئا . وفكر فيها شابا واضرم جذوتها رجلا ، وتعهدها بعد ذلك فى شجاعة رأى وصلابة عزم وصدق جهاد وعمق ايمان . وقد مر بمراحل العهد الثورى دقيقة بدقيقة ، واختلط بها قلبا وقالبا ، وكانت بصيرته النيرة ونظرته الألمعية بمثابة الابرة المغنطيسية التى وجهت السفينة وجهتها الراشدة ، كما كانت ارادته هى الدفة التى حمتها أن ترتطم فى مضيق وعر ، أو تنساق فى تيار جارف ، وهكذا مضت السفينة تشق العباب فى سلامة وأمان .

ما كان لبطلنا الرائد العظيم أن يتخلى هو عن مكانه من القيادة ، وما كان للشعب فى وعيه وحسن تقديره أن يخليه ، ومن ثم كانت البيعة الجامعة له. بيعة التقدير السليم ، بيعة الحب الصميم ، بيعة عرفان الجميل لمن أسدى الجميل .

وان حملة الأقلام — الأدباء والكتاب — وهم بطبيعة مهمتهم يرهفون شعورهم بالمجتمع ويتسمعون الى خوالجه ، ويستلهمون روحه ، ويصورون نزوعه الى الحياة ، وتطلعه الى الغد — ما أحراهم أن يعربوا فى اخلاص عن مشاركتهم الصادقة للرأى العربى العام فى بيعته الجامعة للرئيس «جمال عبد الناصر» .. بيعة الولاء والوفاء »

« **محمد العوانى** »



رأى للمناقشة

قوانين الاحوال الشخصية ومجلس الامة
للدكتور على عبد الواحد وافى

يفهم مما تذكره الصحف ان الأحكام التى انتهت اليها لجنة الأحوال الشخصية ستعرض على مجلس الأمة ، وان هذا المجلس يملك حيالها ما يملكه حيال ما يعرض عليه من مشروعات القوانين الأخرى : فله الحق فى ان يعدل بعض موادها ، وان يستبدل ببعض أحكامها احكاما اخرى فتصبح احكامه شريعة للبلاد .

ويبدو لى ان هذا الوضع لا يتفق مع هذا النوع من القوانين . وذلك اننا فيما يتعلق بما يسمونه الأحوال الشخصية ، وهى الأحكام الخاصة بالزواج والطلاق والحضانة والنفقة والقرابة والوصية والميراث ... وما الى ذلك من شئون الأسرة وما يربط افرادها بعضهم ببعض ويربطهم بالمجتمع العام من حقوق وواجبات، لسنا بصدد مسائل نتصرف فيها كما نشاء ويشاؤه لنا فهمنا وتقديرنا للأمور ، وانما نحن بصدد احكام قررتها شريعة الاسلام وبلغها الرسول الأمين عن الله تعالى . ولا يجوز لمسلم تعدى حدودها ولا محاولة تعديلها .

صحيح انه قد عهد بالنظر فيها الى لجنة الأحوال الشخصية . ولكن هذه اللجنة قد الفت من طائفة من كبار فقهاء المسلمين المتخصصين فى دراسة الشريعة الاسلامية ، ولم يطلب اليها ان تحكم بالرأى ، وانما طلب اليها ان تبين اصح المذاهب الاسلامية فى هذه الأمور واكثرها اتساقا مع اوضاعنا الحاضرة .

فاذا كان لا بد من اعادة النظر فى قراراتها ، فان ذلك لايكون الا على يد لجنة اخرى تتالف مثلها من كبار المتخصصين فى الشريعة الاسلامية ، وتكون اوسع نطاقا منها فى عدد اعضائها مثلا او فيما يتمثلونه من مذاهب فى الفقه الاسلامى .

ومن اجل ذلك يبدو لى ان مجلس الأمة - وهو ليس مفروضا فيه انه مؤلف من متخصصين فى الفقه الاسلامى ، وتقضى لوائحه ان تصدر قراراته باغلبية اعضائه او بنسبة معينة من جميع اعضائه - لا يملك حيال ما انتهت اليه لجنة الأحوال الشخصية الا احد امرين : فاما ان يقره على ما هو عليه فيأخذ بذلك صفة القانون ، واما ان يتقدم باقتراحات لتعديل بعض مواده على الا تصبح اقتراحاته هذه نافذة الا اذا عرضت على اللجنة صاحبة المشروع الأول او على لجنة اخرى من فقهاء المسلمين ورأت اتفاقها مع شريعة الاسلام .

مع الشعر ...
للدكتور أحمد كمال زكى

وصلت قصائد عدة لادارة المجلة بعضها يصل فى مستواه الى ماينشر عادة ، وهو لذلك سيجد مكانه فى الأعداد القادمة . وبعضها لايستطيع مطلقا ان يسمو الى طبيعة الشعر ولا الى تصميمه الفنى الممتاز ، وهذا يصعب ان ننوه باصحابه جميعا ، ومنهم عبد الرازق محمود الطائى وفوزى عرفه ومحمد عبد الفتاح الخطيب !

ولكن لفت نظرى نوع ثالث من الشعر ، يشترك اصحابه فى ظاهرة واحدة هى عدم تاهبهم الكامل للأدوات الشعرية المطلوبة . وفى مقدمة هذه الأدوات « العروض » او « الوزن » فضلا عن اللغة ونحوها .

واقدم مثلا صارخا على ذلك هو قصيدة « قتلة الأنبياء » لمحمد جلال الدين احمد . انه فى هذه القصيدة يخلط بين الرجز ووحدته « مستفعلن » وبين الكامل ووحدته « متفاعلن » ولكل زحاف لا يشارك فيه الآخر ، والى جانب ذلك يجور على التفعيلتين معا مما يخل بالوزن . ونصيحتى له ان يحفظ كثيرا من الأشعار القديمة ولاسيما مما اثر عن البحترى وبشار بن برد .

وقد وقع فى العيب نفسه - ولكن بدرجة اقل - الأخ احمد حسين هرماس ، وجاءت قصيدته « من وحى مؤتمر القمة العربى » من الوافر الذى وحدته « مفاعلتن » ومع ثراء هذا البحر فى الحركة فانه تردى فى سلسلة من الهنات العروضية فضلا عن اخطاء لغوية غير كثيرة . واحسب انه قادر على التخلص من كل ذلك .

واحسن ما قدم - دون ان يصل الى مستوى ما يجب ان ينشر - قصيدة للشاعر محمد شتا ابو سعد بعنوان « انت مبعثى » وقصيدة لشاعر العمال عبد العزيز محمد احمد الشامى يقول فى اولها :

احب الكفاح واهوى النضـــالا
ولـــكن عدوى يهـــاب النزالا

والقصيدة في مجموعها لا باس بها ولاسيما من ناحية الصياغة ، الا اننا لا نرى فيها عمق التجربة ولا اتقاد الشعور ، وانما هي فورات حماسية تحتاج من السهل ان تنفق في كل سوق الا سوق الشعر ، وفي رايي ان هذا الشاعر يحتاج الى ان يكون لديه رصيد فكري خصب ، فهو في هذه الحال يستكمل كل ما يحتاج اليه شاعر ليقول الشعر الجيد .

لن ينقضي ٠٠ !

بقلم : حلمي محمد القاعود

من حيث الهجوم المركز على «حوار» بالذات.احب ان اوضح انه من ناحيتين الاولى : تتصـــل بشخصية السيد / رئيس تحريرها الفلسطيني الاصل والمولد ٠٠ العائش في لبنان انتظارا للعودة التي يحلم بها اهل فلسطين ٠٠ وقد شد انتباهي في شخصية رئيس التحرير هذا انه لم يكتب عن فلسطين ٠٠ وطنه ٠٠ وبلده ومولده ٠٠ ومنشئه ٠٠ كلمة واحدة وكل ما يكتبه عن جائزة « حوار » ٠٠٠ وكاني به وهو يعلن عنها كانه يعلن عن جائزة « نوبل » في بلاد العرب ، وتاخذ ذلك من لهجته وهو يقدم هذه الجائزة على صفحات حوار الاولى ٠٠ وكنت احسبها خدمة لفلسطين القضية ٠٠ او فلسطين النكبة ٠٠ او فلسطين المأساة الدموية ٠٠ ولكن رئيس التحرير المبجل يعلن انها ـ اى الجـائزة ـ تحقق هدف « حوار » في خدمة الثقافة العربية الحية المتفتحة واقامة الحوار بينها وبين الثقافات الاخرى !! ٠٠ (ما هذا الذي طلع علينا به السيد المبجل رئيس التحرير وقد اعلن قبلا ٠٠ ان الجائزة قاصرة على الوطن العربي فقط !) ٠٠

ومادمنا نعلم ان المطولات التي تكتب في حوار تترجم وتظهر في « اوراق سينت انطوني » وغيرها فلماذا لا يتطوع ـ وقد كان يجب عليه ـ رئيس التحرير الفلسطيني ومن اجل قضيته ان يكتب مطولة او مطولات تترجم وتظهر في اوربا ٠٠ ليعرف الراي العام الاوربي ما هي القضية ؟؟ وما هي حقيقة النكبة ؟ وحقيقة الشرسة الغاصبين في الوطن السليب ؟؟ ٠ ٠اسالوه !! اسـالوه !؟ ان العروبة لن تعدم رجالا ولن تنقص ابطالا يغنون لربيعهـا الاخضر ٠٠ ويتلقفون جوهرتهـا الماسية ٠٠ وينبضون بحيـــاتها ٠٠ ويبذلون النفيس والرخيص في سبيل شرفهـــا وكرامتها ٠٠

واذا كان السيد المبجل رئيس التحرير يريد دليلا على الخير الموجود عند ابناء فلسطين انفسهم ، فلست ذاهبا بعيــــدا ٠٠ وانما ارى ثلة من الرجال ينتهزون كل فرصة ليعرفوا بالقضية ٠٠٠ ويضعوا الحقيقة في موضعها الذي لا حيدة عنه ٠٠ منهم على سبيل المثال لا الحصر ٠٠ ناصر الدين النشاشيبي ، عميد الامام ، خيري حماد ، ٠٠ وغيرهم كثير ٠٠ كثير ٠٠

هذه ناحية ، اما الناحية الثانية ٠٠ فتتمثل في ذلك النوع من البعد عن الوجود العربي فكرا وادبا ٠٠ فانا اراها قد حوت بين دفتيهـــا الـــوانا من البحوث المطولة ، والقصص المختلفة والمراسلات والمراجعات ٠٠ وكلها تتسم بطابع غير عربي في الغالب الاغلب ٠٠

وكل هذه المواد يبرز فيها شيء يتردد كثيرا ، وفي البيان عن المجلة نفسها ٠٠ شيء اسمه « الاجرة » ٠٠ ولا ادري ما الذي يحمل المجلة على ذكر الاجرة دائما ٠٠ تنقل مقالا ٠٠ مثلا ٠٠ تقول انها دفعت اجرته ٠٠ كذا ٠٠ في الصفحة الاولى تعلن ان كل ماينشر يكتب لها خصيصا او بالاتفاق مع مصدره الاصل ٠٠ ونحن طوال عمرنا في عالم الصحافة والادب لم نجد مجلة يملكها فرد او مؤسسة تعلن هذه الاعـــلانات عن الاجـرة ٠٠ فالمجلة الاصيلة ذات الهدف الاصيل ٠٠ ليس المال من عمدها التي تقام عليها ٠٠ بل اننا نرى الاصلاء من الكتاب يتعاونون مع المجلة الاصيلة ولو دعمها الفقر ٠٠ ولاحقها ٠٠ لا لشيء الا لانهـــا اصيلة ٠٠ والذي يتحدث عن اجرة لا يهمه شيء سواها من عالم الادب والفكر ، وفرق بين « حوار » و « الاداب » ٠ ٠ !!

تعال وانظر معي شيئا مما بالداخل ٠٠ داخل حوار ٠٠ مثلا٠٠ القصة التي نشرت في العدد ١٤ ٠٠ الذي نحن بصدد الحديث عنه ٠٠ اسمها السفينة ٠٠ مؤلفها ٠٠ جبرا ابراهيم جبرا ٠٠ وملخص القصة ، ويعمني ادق المقاطع الثلاث من القصـــة التي نشرت في العدد اياه ٠٠ « البحر جسر الخلاص البحر الطرى الناعم الاشيب العطوف ٠ (هكذا تبدا القصة ٠٠) رجل يحب امراة اسمها لمى وقد هجرت اهلها من اجله ٠٠ ولابد انهـــا ستكون في هذه السفينة المســافرة الى اوربا ٠٠ ويتشوق الى رؤياها فيجدها مع زوجها الدكتور فالح حسيب ٠٠ بعد ذلك يلتقي برجل اسمه وديع عساف فلسطيني ـ وهذا ما يهمنا في القصة ـ يقص عليه قصة النكبة والضياع ولكنه يقول لنا ـ اى المؤلف ـ على لسان هذا الرجل « اما انا فاوثر الحياة البدائية ، لا اصدق احدا ، ولا ادعي الصدق لاحد ٠ ابكي بعض الليالي ، ولكنني اضحك كثيرا ، واحب النساء من كل نوع ٠ من كل لون وارفض البقاء السالب المنفعل ٠ في نابولي ساخذ النساء بالجملة ، ولم اكتب كلمة واحدة ٠ لان الكلمات تزيل حدة انطلاقي ٠٠ هل قلت ان الفلسطينيين كلهم شعراء ؟ انهم في الواقع تجار ٠ لقد اقفلوا قلوبهم على الشعر ، وانصرفوا الى التجارة في كل مكان ، وانا ، كما ترى ، واحد منهم اسعى في سبيل القرش الف ميل ، ولكنني ادوسه بقدمي في النهاية « المال على كندرتك ! ٠ » .

اوصل الحال بالفلسطينيين الى هـــذا الحد من حب النساء واخذهم بالجملة ، وقلوبهم اصبحت مقفلة على الشـــعر ، ومنصرفين الى التجـــارة ٠٠ وساعين الى القـــرش ليدوسوه في النهاية ؟؟ احكموا ايها القراء ٠٠ وهذا المقطع الذي اوردته ٠٠ له كثير يشبهه بل ويزيد ٠٠ مما يصل به الى ما نعرفه بالادب المكشوف !! ٠ ٠والان وقد رايت نموذجا من نماذج ادب حوار لننتقل الى مثل اخر بعيد عن الادب ـ الرسوم ـ نعم ٠٠ مجموعة من اللوحات لرسامة اسمها منيره القاضي لم افهم سوى لوحة واحدة ٠٠ اما الباقي فقد عجز عن فهمه معي الفنانون الذين قابلتهم بنفسي ٠ ٠وقد راحوا يتاولون الرسوم ويجتهدون ولم افهم ، وهم بالطبع لم يفهموا سلفا ! وقالوا انه نوع من الفن اللامعقول والذي يجب ان يبقى في حظيرة مبدعه وخالقه ٠٠ والاعجب من هذا ان ـ دانيل نوبل ـ يرص مقاطع من الكلمات اشبه شيء بما يسميه الشـعر الحر ٠٠ وتغلب فيه كلمة « يا الهي » دلالة على عظمة فن هذه الفنانة ٠٠ وما هو من الفن بشيء !! ابعد هذا تكون حوار قد قدمت ثقافة عربية « متفتحة » ٠٠ اسالوها ٠٠

قصة عربية

لمحة شباب

بقلم : حسين القباني

لو لم تكن سيارتي معطلة ، لما ركبت السيارة العامة في هذا اليوم من ايام الربيع الدافيء ولما رايت « احسان » في مقصورة الدرجة الاولى التي لم يكن بها احد سوانا خلال المحطات الثلاث المارة بجزيرة الروضة ..

كان في وجهها ، وفي عينيها خاصة ، ما جعلني اختلس النظر اليها - مرغما - وبقلب خافق .. فقد خيل الى فجاة انني ارتددت الى الوراء عشرين عاما .. الى عهد الشباب الثائر في سن الخامسة والعشرين ، الى ذلك الحب الاول الذى نعمت به عاما كاملا مع .. خيرية .

كان بينها وبين خيرية - حبيبة الصبا - شبه كبير ، وكان الشبه اوضح ما يكون في عينيها السوداوين ، وفي شعرها الذهبي الناعم ، وفي شفتيها المثلثتين .. ولو امكن لانسان ان يطلق لغرائزه العنان في لحظة من لحظات العمر ، لما ملكت نفسي عن اخذ هذه الحسناء بين ذراعي ، لاهمس في شفتيها ، بعض ذكرياتي عن الحب الاول الذى كان بيني وبين خيرية ، في عهد الصبا والشباب

لقد احببت - مثل كل شاب - كثيرا في ايام صباى ، وكانت خيرية هي الحبيبة الاولى وكان طبيعيا ان تنحصر امالي يومذاك في عش سعيد ، انفرد فيه مع خيرية اهازيج الحب والحياة ، واتخذ من ضوء ابتساماتها شعاعا ينير طريق الكفاح نحو الرقي السريع في عالم الوظائف الحكومية .. وكانت هذه الاماني تحتم على ان اقدس غرامي بها وارتفع به عن الاسفاف في قبلة او عناق ، قبل ان تصبح لي زوجة امام الله والناس ، وذلك رغم انى كنت اسخر من قبل مما يزعمه الكتاب الخياليون عن الحب الحق ، والغرام الصدق ، الذى تتعانق فيه الارواح ، وتتناجى به العيون ، وتتحدث عنه النظرات ، ويسعد به القلب ويهنا لمجرد النظر الى وجه الحبيب ، اما ما عدا هذا ، فهي غرائز مشبوبة ليس بينها وبين الحب ادنى سبب .

وافقت من هذه الاماني العذاب ذات يوم ، فاذا شقيق خيرية - وهو ولى امرها يزوجها من كهل ثرى ، بعد ان رفض زواجها منى ، لانى موظف صغير فقير .. ولما لم يكن للفتاة في تلك الايام ، بل وفي هذه الايام احيانا - الا طاعة ولى امرها في شئون الزواج ، فقد ارتفعت خيرية من حياتى لتعيش في قصر .

وهكذا خرجت من غرامي الاول ، غرام العمر كله ، بقلب جريح ورغبة عنيفة نحو الثراء لالقى بذلك على شقيق خيرية درسا في ان المال عرض زائل ، يمكن لكل مجتهد ان يجمعه بوسائل مشروعة او ملتوية ، اما الشباب وما يفيض به من حب وهناء ، فهو جوهر لا يشترى باموال الدنيا جميعها ...

واستقلت من وظيفتى ، والقيت بنفسى في ميدان العمل الحر ، وتحقق ما كنت ارجوه فاذا انا على ثراء طائل بعد عشر سنوات بل اكثر ثراء من زوج خيرية الذى كان قد بلغ مرحلة الشيخوخة البغيضة ، ولولا براءة حبي لها ، لاغريتها بطلب الطلاق منه ، او - على الاقل - بالعمل على خيانته ، والسخرية منه ومن امواله ..

وتزوجت وانا في الخامسة والثلاثين فتاة تصغرنى بسبعة اعوام ، اجمل بكثير من خيرية ومع هذا لم استطع - باية حال - ان احبها من قلبي وحبي بعض ما وهبته لحبيبة الصبا .. وانه ليخيل الى ان الحب الاول - كالشباب - لا يكون في حياة المرء الا مرة واحدة ..

ومرت السنوات مع زوجتى في حياة هادئة حينا ، صاخبة احيانا ، فانا سعيد دائما بابوتى لاولادى الثلاثة ، شقى احيانا بما القاه من زوجتى حين تخرجها الغيرة الحمقاء عن طورها ، كلما جرى على لساني اسم « خيرية » لاية مناسبة عادية . ولست ادرى من اين عرفت امر غرامي الاول هذا ..

مرت هذه الذكريات السريعة من حياتى في خاطرى ، وانا اختلس النظر الى هذه الحسناء شبيهة خيرية ، التى كانت في مقصورة الدرجة الاولى ، في هذا اليوم من ايام الربيع الدافيء ، والتى اعادتنى عيناها وشفتاها الى ايام شبابى الدابر ، والى عهد غرامي الاول ..

ولست ادرى كيف ومضت فكرة الزواج منها ، في خاطرى فجاة .. ولكن الذى ادريه ، هو انى رحت اسائل نفسى : لماذا لا اتزوج - بدورى - فتاة كهذه ملؤها الصبا والجمال ؟ اليس من حقى في كهولتى ، ان استعيد - بالمال - لمحة من شبابى الاول ، ..

ان التقاليد لن تحول بيني وبين هذه الامنية .. وان عجز زوجتى عن توفير اسباب السعادة الشاملة ، يتيح لي الحق في البحث عن السعادة مع زوجة اخرى .. فلماذا .. نعم .. لماذا لا افعل ؟!

وعدت انظر الى الحسناء ، من زاوية جديدة ، جعلت - على

ما اظن – وجهى الكتنز يتوهج بلمحات من دماء الشبـاب ، ولكنى رايتها قد وقفت بقوامها الشيق ، وجسمها الملفوف تستعد للنزول فى المحطة التى تقترب السيارة منها ..

واقسم انى لمحتها – قبل ان تهبط – تلتفت نحوى فجاة ، ثم تومىء براسها باسمةولولا هذه الايماءة الباسمة ، لما قفزت من مقعدى فجاة ، كانى ارتددت حقا الى ايام الشباب ثم انطلقت من المقصورة والسيارة تتحرك ، ثم وثبت منها ، ومضيت سائرا فى جانب من الشارع متتبعا الحسناء من بعيد ، حتى رايتها تدخل بيتا صغيرا انيقا بالجزيرة ..

ووقفت عند بائع مرطبات قريب من البيت ، وشرعت سوانا اجزل له العطاء فيما اشرب – استدرجه – فى حرص ولباقة – ليثرثر عما يعرف عن جيرانه ، الاقربين .. وهكذا عرفت ان حسنائى تدعى « احسان » وانها تقيم فى ذلك المنزل الصغير الانيق مع ابيها المحال الى المعاش ، وانها – وهذا ابلغ ما فى الامر – لم تزل عذراء .

واخذت فكرة الزواج من شبيهة حبيبتى الاولى ، تستبد بى ، وتملأ ذهنى وتعبث بمحاولاتى فى التحرر منهـا ، وتوقظ من مشاعرى ما كان غافيا ، وتلهب عواطفى وتثير دمائى حارة فى عروقى ، وتنسينى – الى حد ما – ذلك الحنان الطبيعى نحـو اولادى ، وتوسع الهوة بينى وبين زوجتى حتى احسست – بعد اربعة ايام – انى سافقد عقلى اذا لم احقق رغبتى ، وانى سافقد زوجتى فى كلا الحالين ..

وهكذا قررت اخيرا – انقاذا لنفسى واعصـابى – ان اتخذ خطوات حاسمة ، للزواج من هذه الحسناء التى اعادتنى شفتاها وعيناها الى ايام شبابى الدابر ، والى عهد غرامى الاول .

وارسلت سكرتيرى الامين الى ابيهـا ، ليمهد لى الطريق الى زواجها ، لشد ما دهشت – وروعت – حين علمت من سكرتيرى ان اباها رحب بى ، زوجا لابنته اشد الترحيب ، فقد كنت ، حتى اللحظة الاخيرة اعتقد ان اباها سيرفض زواجهـا من كهل مثلى ، او ان الفتاة ستثور لهذا السبب . اليس لها حبيب ؟!

نعم .. كنت – فى اعماق نفسى – امل ان تقوم العراقيل امام هذه الفكرة المستبدة بى ، وبذلك اياس واستريح ، فان الياس – كما يقال – احدى الراحتين .. ولـكن القدر الذى اعطب سيارتى فى ذلك اليوم الدافىء من ايام الربيع ، والذى جمعنى بحسناء السيارة العامة فى مقصورة الدرجة الاولى ، لم يكن – كما بدا لى – عابثا او لاهيا .

وقدمت « الشبكة » الى احسـان ، وحددت موعد القران – سرا – مع ابيها ، وذلك حتى لا يصل النبا الى زوجتى قبل الزفاف .. ومن ثم هدات نفسى ، واطمان قلـبى ، وبدات استمتع ببهجة الحياة ، وبلمحات عائدة من شبابى الدابر ، كلما ذهبت الى بيت « السيد رؤوف بك » فاجلس اليه ، والى ابنته احسان مستمتعا بحديثها الرقيق ، وبما بينها وبين حبيبتى الاولى من شبه عجيب ..

على انى كدت اجد احسان فى بعض الاحيان ، راضية ، باسمة ، مقبلة فى حديثها على ، ثم اجدها فى احيان اخرى ، ساهمة ، واجمة ، متكلفة الابتسام ، مصطنعة الرضى ، ثقيلة الحديث ، حتى عادت الوساوس تتوشنى مرة اخرى ، وبدات الحياة تخفف بهجتها شيئا شيئا .

ثم اقبل الشاب عفت الى مكتبى ذات يوم .

حيانى فى ادب جم ، ثم راح يتحدث ، بعـد ان اذنت له وشجعته ، ولقد عرفت منه انه ابن خال احسان . وكان كلمـا امعن فى الحديث ، احسـت كانى فى يد ساحر ماهر ، يمسح على قلبى ، فيطرد منه هذه اللمحات من شبابى التى بعثتها عينا احسان وشفتاها ، ثم يعيدنى ، رويدا رويدا ، الى شيخوختى ، بل الى ما هو اكثر من الشيخوخة .

نعم كان حديث هذا الشـاب ، قطرات باردة تتدفق فى دمى الثائر الفائر فتعيد اليه الهدوء والسكينة وكانت الحقائق المرسلة فى ثنايا الحديث ، كانها مراة سحرية ، ترينى لأول مرة حقائق الحيـاة ...

لقد اخبرنى بصوت فيه حياء ورجاء وعزم ، انه كان مرشحا للزواج من احسان وانها تبادله الحب ، وانه بشهادته العـالية فى منصب حكومى لا باس به ، وان اباها لم يكن يمانع فى زواجها منه ، بل قد حدد له موعد الخطبة ، لولا انى تقدمت فاثرنى عليه .. ثم ختم حديثه قائلا فى رجاء :

– لهذا تشرفت بالحضور اليك يا سيدى ولك الحرية التامة فى ان تحطم قلبينا بما وهبك الله من مال ، او ان تسعدنا ، فنبقى دائما – والى غاية العمر – نذكرك بالخير ..

واذا كان لكل قصة طريفة نهاية مفاجئة للقارىء او المستمع ، فان لقصتى ايضا نهايتها المفاجئة ، المفاجئة لابطالها ، قبـل قرائها ومستمعيها ..

لقد فوجىء عفت حين وجدنى اتنازل – فورا – عن خطبتى لاحسـان .. ولقد عقدت المفاجاة لسـانه فلم يعرف كيف يشكرنى .

وفوجئت احسان حين جعلت « الشـبكة » الثمينة هدية منى اليها بمناسبة زواجها من ابن خالها .

وفوجئت زوجتى ، حين وجدتنى منذ ذلك اليوم ، هادئا ، راضيا ، باسما للحياة قانعا بنصيبى منها ..

اما انا ، فقد فوجئت ايضا .. وذلك حين سالت عفت عن نوع الحب الذى يكنه لابنة عمته ، فاذا هو يندفع قائلا فى حماس وصدق :

– اقسم لك يا سـيدى انه حب عذرى .. حب شريف طاهر .. لم يكن فيه غير عناق برىء ، وقبلات بريئة ؟!

وعندئذ ارسلت من صميم قلبى ضحكة عريضـة ، اخفى بها دهشتى لهذا الغرام الذى يسميه شباب الجيل الجديـد « الحب الشريف الطاهر » .. اوليس من حقى – على الاقل – ان اضحك .. ام .. ماذا ؟!

« حسين القبانى »



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٨٤

الثمن ٣